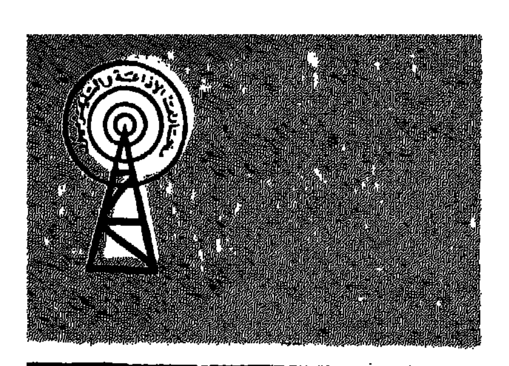
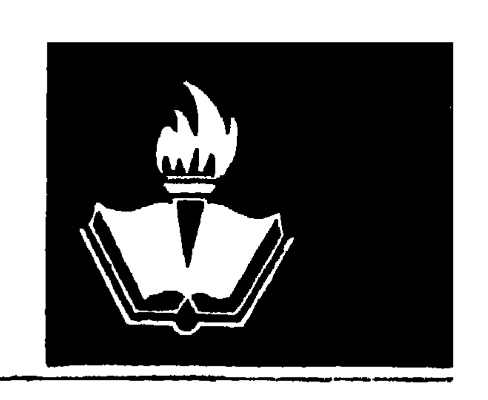
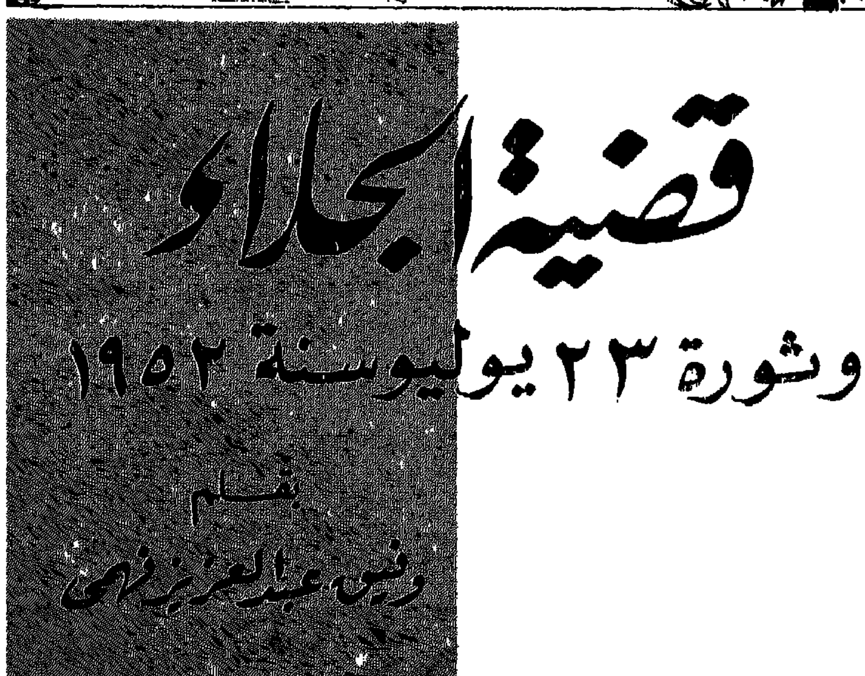


كتب قومية





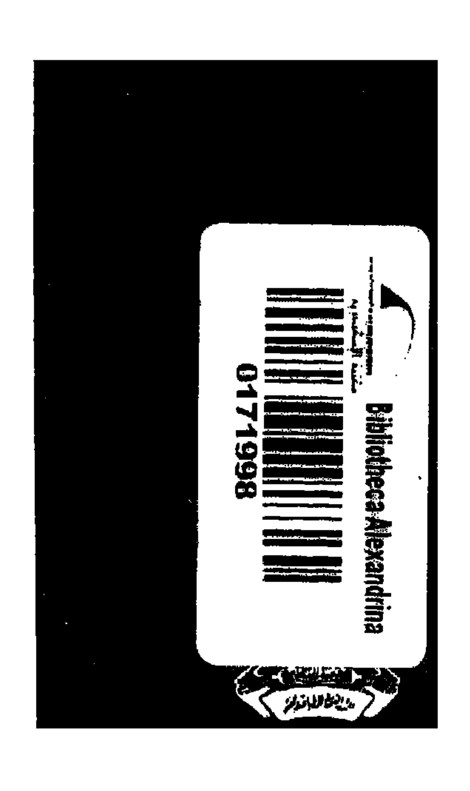


قضية الجلاء

وثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

بقلم

يونس عبد العزيز فهمي



كتب قومية

قضية الجلاء
و
ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

بقلم
وفيق عبد العزيز فهمي

تصدير

« ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النـداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية » .

« ان شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » .

« ان الاستعمار الذى جلا عن أرضنا طبقا لاتفاق تم تنفيذه فى يونيه سنة ١٩٥٦ ما لبث أن عاد فى أكتوبر من العام نفسه متصورا أنه قادر على اخضاع ارادة شعبنا واذلاله واجبـاره على الركوع خضوعا لارادة المستعمرين » .

« ان الهزيمة المريرة التى منى بها الاستعمار فى حرب السويس أنهت عصر المغامرات الاستعمارية المسلحة » .

الميثاق

مقدمة

ان يوم ١٨ من يونيو سنة ١٩٥٦ يمثل أسمى معـــانى الشعور بالحرية والكرامة والاستقلال .

ان هذا اليوم الخالد الذى يذكرنا بتطهر بلادنا من أدران الاحتلال البريطانى فى عام ١٩٥٦ يعـــد انتصارا للمقاومة الشـــعبية وتتويجا للحركات والانتفاضات الوطنية التى قام بها الشعب المصرى ضد الغزاة الذين كان الانجليز آخرهم .

ان تاريخ مصر كله صراع مع الغزاة الذين أخذوا مع الزمن يظهرون فى صور شتى ، ويثبت التاريخ أيضا ان مصر كانت دائما مقبرة لهؤلاء الغزاة ! .

ومنذ سنة ١٧٩٨ تبلورت معاركنا ومقاومتنا فى صراعنا ضـــد الفرنسيين والانجليز .

فلقد جاءت الحملة الفرنسية الى مصر ، وتعرضت لمقاومة الشعب وثوراته المستمرة ودل ذلك على انبعاث اليقظة الشعبية فى مصر .

ان تلك العاطفة القومية التى عجلت بنمـــوها الحملة الفرنسية هى نفسها التى وضعت المسمار الأول والأخير فى نعش الغـــزو الفرنسى لمصر .

واستغل محمد على هذه اليقظة الشـــعبية فى الوثوب الى أريكة عرش مصر الا انه لم يؤمن بها الا بوصفها نقطة وثوب فحسب ، ولذا لم يكد يتـــولى ولاية مصر حتى قلب لها ظهـــر المجن ، وطعنهـــا من الخلف !

وعندما تم لمحمد على تصفية الحركة القومية فى مصر بدأ يستغل امكانياتها فى بناء جيش قوى من أبنائها ، ثم راح يجر هـــذا الجيش العظيم الى مغامراته الفردية التى لم يستهدف بها الا مطامعه وأحلامه الشخصية .

واستيقظ الاستعمار الغربى المتربص بمصر على وقع أقدام الجيش المصرى تزحف فى طريق من الانتصارات عبر الجزيرة العربية وبلاد الشام والبلاد اليونانية والمورة وأوربا نفسها .

وبدأ الوحش الاستعمارى يحس بخطورة قوة مصر ، فتصدى لها وفرض على مصر معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وفى الوقت نفسه بدأ أخطبوط الاستعمار الأوربى يلف أذرعه حول رقبة مصر ، ومن ثمة عانت مصر من سموم الامتيازات الاجنبية وشدة التدخل الاجنبى الذى سبب لها الشلل ، فلم تعد تستطيع أن تصرف شئونها بنفسها ، وكان للأزمة المالية التى تعرضت لها مصر أسوأ النتائج فيما وصلت اليه أحوالها فى نهاية عهد اسماعيل الذى تميز عهده بالاستبداد والحكم المطلق .

وقام أبناء مصر ، وعزموا على نجدة الوطن من براثن الوحش الاستعمارى ، وهبت ثورة عرابى ، ثورة الشعب التى قادها عرابى ضد الاستبداد والتدخل الأجنبى .

وانتكست هذه الانتفاضة الوطنية الباسلة من جراء طعنها من الخلف فى التل الكبير .

وكانت هزيمة عرابى ايذانا بنزول ظلام الغزو البريطانى على مصر .

وحاول هذا الاستعمار أن يخنق الروح القومية فى مصر ، ولكن محاولاته ذهبت أدراج الرياح .

وتحطمت أحلام بريطانيا فى مصر عندما بدأت نداءات مصطفى كامل الثورية تجلجل فى آفاق مصر منادية بالجلاء والحياة الدستورية .

وبدأ الرعب يزحف على قلب الاحتلال وهو يشهد فى الأفق الانطلاقة القومية الجديدة التى يقودها المثقفون من أبناء مصر أمثال محمد عبده وقاسم أمين ومصطفى كامل ولطفى السيد وسعد زغلول .

وأراد « كرومر » أن يبث الذعر فى قلب هذه الحركة الوطنية ، ومن ثم انتهز لحظة من لحظات الاستعمار السوداء ونصب المشانق فى دنشواى .

ولم تجزع الحركة الوطنية ولم ترتد عن مطلبها القومى ، بل تلقى مصطفى كامل القفاز وطاف بالعالم متحدثا عن أفظع مأساة استعمارية جرت حوادثها فى التاريخ .

وهيأت تلك الحركات الوطنية الجو لانفجار موجة ثورية قامت فى مصر سنة ١٩١٩ عقب الحرب العالمية الأولى الا أن تلك الثورة انتكست ، ولم تنجح فيما قامت من أجله .

ولم تفت النكسة من عزيمة الشعب ولم يستسلم للقوة القاهرة ؛

فقامت الأمة تنادى بالجلاء . وحدثت عدة مصادمات بين تلك القوى الوطنية وقوات الاحتلال .

وبدأت مصر تشهد سلسلة من المفاوضات العجيبة الفاشلة ، وفى سنة ١٩٣٦ تم توقيع معاهدة بين مصر وانجلترا . وكان صلب تلك المعاهدة يسلب مصر كل مظاهر الاستقلال التى نصت عليه مقدمتها ؛ وعلاوة على ذلك فقد تضمنت تلك المعاهدة شروطا مرهقة فرضتها انجلترا على مصر التى لم تكن طرفا حرا عند ابرام تلك المعاهدة .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وأخلصت مصر فى الوفاء للحلفاء وكان من عوامل انتصارهم فى هذه الحرب ما بدا من تضحيات المصريين لقضية الحلفاء .

وبرغم ذلك لم تف بريطانيا بوعدها فى شأن الجلاء . وظهر للعالم حقيقة العلاقات القائمة بين مصر وانجلترا التى تقوم حقا على أساس قوة الاحتلال .

وتملك السخط نفوس الجماهير وانفجر فى شكل مصادمات عنيفة مع قوات الاحتلال ، واستشهد فى الميدان كثير من أبناء الوطن .

واستمر الشعب فى غليانه ، وعاش الشعب فى ثورة من الحقد والغضب على ضعف الحكام ووحشية الاستعمار ونذالته .

ومن ثم ألغت الحكومة تحت ضغط الشعب معاهدة سنة ١٩٣٦ فى اكتوبر سنة ١٩٥١ ولم تتخذ تلك الحكومة أى اجراء واجب لحماية الأهالى مما قد يحدث نتيجة لالغائها المعاهدة .

ولم تعترف بريطانيا بالالغاء ، وقامت قوات الاحتلال بأعمال القتل والارهاب ضد الاهالى ، وقام الفدائيون بأعمال بطولية ضد الاحتلال .

وفجأة اشتعل حريق القاهرة ، وظهرت للشعب المفاسد المتفشية فى كل جوانب الحياة المصرية ؛ وكانت تلك الفترة هى بداية النهاية للحكم الفاسد فى مصر .

فبدأت الأمة تبحث عن منقذ لها من بين أبنائها .

وكان الله رحيما بهذه الأمة ، فلم يطل بها البحث .

ففى صباح اليوم الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ أشرقت

شمس الثورة وهب على الشعب نسيم الحرية ، ورفع الشعب رأسه ايذانا بانقضاء عهد الاستعباد .

وبدأ الشعب يزحف نحو الاهداف المقدسة وأمامه الطليعة الثورية، وواجه الشعب معاركه فى قوة وعزم « وكانت هذه المعارك فى حقيقة الأمر حربا واحدة هى حرب الاستقلال : فكان خلع الملك معركة فى حرب الاستقلال ، وكان القضاء على الاقطاع معركة فى حرب الاستقلال ، وكان القضاء على الاقطاع معركة فى حرب الاستقلال ، وكان انهاء وجود الأحزاب معركة فى حرب الاستقلال » .

وتم للشعب النصر فى معاركه ، وبدات تلوح فى الأفق معركة التصدى للاستعمار ، اذ انه لما تهاوت الدمى والأصنام أصبح الاستعمار فاذا هو أمام الشعب وجها لوجه ، ولاحت المعركة بينهما على الأفق ، بل وقعت المعركة فعلا على أرض منطقة القناة .

والحق انه منذ يناير سنة ١٩٥٣ جتى ١٨ من اكتوبر سنة ١٩٥٤ لم تقف معركة الفدائيين ضد الاحتلال لحظة واحدة حتى قبل الانجليز اتفاق الجلاء مكرهين لأنهم شعروا بحرج موقفهم فى منطقة القناة بعد أن استطعنا أن نحيل حياتهم فى المنطقة الى جحيم وسواد .

وهكذا استطعنا « بالأيدى المتحدة القوية وبالدم الزكى الذى سال فى منطقة القناة » أن نوقع اتفاقية الجلاء فى يوم ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

وفى ١٨ من يونيو سنة ١٩٥٦ تطهرت مصر من القوات المحتلة ، وتنسم الشعب نسمة الحرية التى ملأت حياته بالفرحة والأمل فى الغد الحر الذى سيبنيه بارادته الثورية الحرة .

ولكن الاستعمار ما لبث ان عاد فى اكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وكان عدوانا ثلاثيا مجرما حاول بسط نفوذه على مصر والمنطقة من جديد.

وتصدى الشعب للعدوان ، وحمل الشعب السلاح وقاتل بشرف وفداء .

وانتصر الحق والعدل والحرية وتقرير المصير بانتصارنا فى معركة السويس الخالدة وكانت معركة بورسعيد هى معركة العالم الحر كله ، هى معركة العروبة .

وخرج الاستعمار من أرضنا الطيبة يجر أذيال الخيبة والفشل وسقط العدوان ، ولم تكسب الدول المعتدية غير الكراهية والحقد .

وسجل التاريخ فى أشرف صفحاته وأنصعها انتصار الشعب
،ة مقاومة وكفاح هذا الجيل من شعب مصر الذى كان على موعد
القدر ليفوز بالنصر المبين مرتين فى عام واحد ؛ عام ١٩٥٦ الفاصل
نضالنا القومى .

المؤلف

وفيق عبد العزيز فهمى

البـاب الأول

الأطماع الاستعمارية فى مصر

الفصل الاول

الحملة الفرنسية على مصر

بينما كانت مصر تئن تحت وطأة استبداد وظلام الغزو العثمانى الذى جثم على أرضها وأفقدها استقلالها فى سنة ١٥١٧ ظهر فى الأفق شيطان استعمارى جديد ، هذا الشيطان هو الحملة الفرنسية التى استهدفت مصر والشام سنة ١٧٩٨ .

وقد كانت مصر دائما فى صراع مع الشيطان الاستعمارى : ففى الوقت الذى جاءت فيه الحملة الفرنسية الى مصر كانت الحياة فى مصر حياة ظلم وفساد ، وكانت مصر قد فقدت استقلالها وأصبحت ضمن الأملاك العثمانية وفى تلك الفترة تحولت مصر الى غابة تحكمها وحوش ضارية : كان المماليك يعتبرونها غنيمة سائغة ، وكان الصراع الرهيب بينهم على نصيب كل منهم فى الغنيمة .

« وكانت أرواحنا وثرواتنا وأراضينا هى الغنيمة » (١)

هكذا كانت مصر عند مجىء الحملة الفرنسية .

والحقيقة أن الحملة الفرنسية على مصر لم تكن هى بداية موجات الاستعمار الأوربى التى تعرضت لها مصر .

ان تلك الحملة كانت احدى حلقات الغزو الاوربى لمصر ، هذا الغزو الاستعمارى الذى بدأ بالحروب الصليبية العسكرية « التى جاءت مستترة وراء صليب المسيح وهى أبعد ما تكون عن دعوة هذا المعلم العظيم » (٢) .

جاءت الحملة الفرنسية الى مصر نتيجة للتنافس الاستعمارى

---

(١) جمال عبد الناصر ـ فلسفة الثورة .
(٢) جمال عبدالناصر ـ الميثاق الوطنى .

بين فرنسا وبين انجلترا هذا التنافس الذى استمر من أواخر القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر .

« ولعل حملة بونابرت على مصر هى التى كشفت النقاب لأول مرة عن الصراع الذى قام بين الدول الاوربية العظمى وأوضحت تماما كيف تبادر هذه الدول الى الاتحاد فى جبهة واحدة ضد أية دولة أوربية تحاول الاستئثار لنفسها بالسيطرة على مصر دون سائر الدول» (١) ؟

ذلك أن ساسة فرنسا قد اهتدوا الى أن أسلم طريق للقضاء على قوة بريطانيا انما هو هزيمتها فى مستعمراتها الشرقية بقطع المواصلات البريطانية الى تلك المستعمرات فيكون ذلك كفيلا بالقضاء على تجارة بريطانيا .

وفى ١٢ من أبريل سنة ١٧٩٨ أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها فى شأن انفاذ الحملة الى مصر تحت قيادة بونابرت وبينت فى مقدمة ذلك القرار أسباب الحملة بقولها :

ان حكومة الامارة لما رأته من أن البكوات المماليك الذين استولوا على حكومة مصر قد اتصلوا بالانجليز بأمتن الروابط وجعلوا أنفسهم تحت مطلق تصرفهم وأنهم يرتكبون الاعمال العدائية والمظالم الفظيعة ضد الفرنسيين ويضطهدونهم وينهبون أموالهم ويعتدون على أرواحهم، ولما كان من واجب الحكومة أن تقتص من أعداء الجمهورية أينما وجدوا واذ كانت الطريقة المنطوية على الغدر التى استولت بها انجلترا على رأس الرجاء الصالح قد جعلت وصول السفن الفرنسية الى الهند محفوفا بالمصاعب من الطريق المعتادة فلذلك كله أصبح من المهم فتح طريق جديدة لقوات الجمهورية للوصول الى الهند .

ووصلت الحملة الى الاسكندرية فى أوائل يوليو سنة ١٧٩٨ .

ومنذ دخلت الجيوش الفرنسية الغازية ارض مصر لم يترك لها الشعب المصرى فرصة الا ناهضها ووقف فى وجهها برغم الفارق الكبير بين القوتين .

ويقول الدكتور محمد أنيس عن المقاومة الشعبية الرائعة التى وقفت فى وجه الغزاة : « فحين نزل بمصر الغزو الفرنسى تناسى المصريون كراهيتهم للحكام الطغاة من المماليك والعثمانيين ووقفوا معهم جنبا الى جنب لمقاومة الغزاة ، ولم يكن من المعقول ان تصمد سيوف مراد ومماليكه أمام قوات الفرنسيين وتنظيماتهم العسكرية الدقيقة فانهارت المقاومة الرسمية ، لتبدأ المقاومة الشعبية الصرفة ، واقول المقاومة

(١) محمد على الفتيت . الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس .

الشعبية لأن الذى قام بثورتى القاهرة الاولى والثانية ضد الحكم الفرنسى هم أهل القاهرة انفسهم : فأولاد البلد من الحسينية والعطوف وباب الشعرية وخان الخليلى وبلاق وفتوات الاخطاط والحارات هم الذين نظموا أنفسهم ووضعوا الخطة واشتروا السلاح أو خطفوه من الفرنسيين ، وهذا رد على الذين يدعون ان المشايخ والمماليك هم الذين كانوا يحرضون العامة ويثيرونهم على الفرنسيين . والحقيقة ان هؤلاء العامة هم الذين أجبروا المشايخ والمماليك فى أكثر من مرة على الاشتراك فى الثورة ، هذا عن موقف القاهرة من الحكم الفرنسى اما فى الأقاليم فالحقيقة أن الامر لم يستتب مطلقا للفرنسيين هناك . ولم تجز على المصريين كل أحابيل الفرنسيين » .

وكانت لثورات القاهرة ضد الفرنسيين صدى فى الأقاليم فلقد قامت المقاومة فى جميع بلاد الوجه البحرى قاطبة وخاصة تلك البلاد التى على مقربة من القاهرة .

وبينما كانت المقاومة الشعبية تعيش أنبل ساعات عمرها نجد أن المماليك كانوا يهربون من القاهرة الى أقاصى البلاد ويحملون معهم حليهم وأموالهم تاركين الشعب وجهـا لوجه أمام الجيش الفرنسى المنظم وعتاده الحديث .

ويعلق الاستاذ الرافعى على موقف المماليك من المقاومة بقوله :

« وكان المماليك على عاداتهم لم يستهدفوا مواجهة الجيش الفرنسى وتركوا عبء القتال على عاتق الأهالى ، فمقاومة المماليك قد تلاشت اذن أمام الجيش الفرنسى ، على أن مقاومة الأهالى كانت أشد وأنكى وأعظم فى اضعاف مركز الفرنسيين فى الوجه القبلى .

فشل الحملة الفرنسية :

هنالك أسباب عدة لفشل الحملة الفرنسية التى جاءت الى مصر سنة ١٧٩٨ ، والتى استهدفت غزو مصر وسورية وجعلهما قاعدة لامبراطورية فرنسية فى الشرق ، الا أنه مهما قيل من آراء فى تفسير سبب تسليم الفرنسيين آخر الأمر بجلائهم عن مصر فانه لا ينبغى تجاهل سبب هام فى هذا التفسير وهو ادراك الفرنسيين تعذر بقائهم وسط شعب يعاديهم ويخطف أسلحتهم ليحاربهم بها وينقض على من يصل الى أيديهم من جنود الاحتلال .

هذا بالاضافة الى ما قامت به بريطانيا من مناهضة الحملة

الفرنسية واحباط أهدافها : فقد قامت بريطانيا بتحطيم الأسطول الفرنسي فى موقعة « ابو قير » البحرية وساعد الانجليز والى عكا فى حربه ضد نابليون ، واشترك الانجليز مع العثمانيين فى الحملات العسكرية التى ناوات الفرنسيين فى مصر حتى أجبرت الحملة على الجلاء عن مصر سنة ١٨٠١ دون أن تحقق أهدافها السياسية التى جاءت من أجلها.

وبرغم ذلك الفشل الذى منيت به حملة بونابرت على مصر فان تلك الحملة كان لها نتائج سياسية ودولية وعلمية واقتصادية خطيرة غيرت من وجه الحياة فى مصر والعالم العربى .

الفصل الثانى

التسلل البريطانى الاستعمارى فى مصر

كان من نتائج الحملة الفرنسية على مصر أن اتجهت انظار بريطانيا الى اهمية موقع مصر الجغرافى والاستراتيجى ومنذ ذلك الوقت لم تأل انجلترا جهدا فى محاولة احتلال مصر أو بسط نفوذها فيها أو تقرير وتحقيق المركز الممتاز .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف الاستعمارى سعت بريطانيا بشتى الطرق حتى تحقق لها فى سنة ١٨٨٢ احتلال مصر دعما لنفوذها الاستعمارى وصيانة لامبراطوريتها فى الهند .

أما كيف انتهى الأمر باحتلال بريطانيا لمصر فهذا هو ما نوضحه فيما يلى :

***

أولا ـ سياسة بريطانيا فى أثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر :

علمنا فيما سبق أن الأسطول البريطانى قد حطم الأسطول الفرنسى فى معركة « أبو قير البحرية » وقد دفع بريطانيا الى تحطيم هذا الأسطول تيقنها أنه لو تمكن نابليون من اخضاع مصر وجعلها مستعمرة فرنسية فان ذلك كفيل بأن يجعل فرنسا قادرة على طرد بريطانيا من البحر المتوسط وان يصبح الطريق الى الهند أمام بونابرت ممهدا .

لكل ذلك طار صواب الاستعمار البريطانى واستعد لمناهضة حملة بونابرت .

وقد عملت بريطانيا على تأليب الرأى العالمى ضد الحملة الفرنسية ، ثم قامت بعقد حلف بينها وبين كل من تركيا وروسيا ضد فرنسا وظلت بريطانيا تكيد لفرنسا حتى تم لها ما أرادت . فتم جلاء الفرنسيين عن مصر فى سنة ١٨٠١ .

ثانيا ـ سياسة بريطانيا بعد خروج الحملة :

منذ جلاء الفرنسيين عن مصر سنة ١٨٠١ وبريطانيا تحاول احتلال مصر ، فبعد خروج الفرنسيين من مصر تلكأ الانجليز فى الجلاء عن البلاد وطمعوا فى بسط نفوذهم على وادى النيل ، مستندين فى بقائهم على الاتفاقية المعقودة بينهم وبين تركيا فى ٥ من يناير سنة ١٧٩٩ الخاصة بضمان الحكومة البريطانية لسلامة أملاك السلطة العثمانية بلا استثناء كما كانت قبل الحملة الفرنسية .

غير أن الانجليز وهم أهل دهاء وخداع توصلوا الى اتفاق الحق بالاتفاقية السابقة ، ومضمون هذا الاتفاق أن الجيش الانجليزى لايجلو عن مصر الا بعد استتباب الأمن فى ربوعها .

ومن هذا يبدو أن بريطانيا قد بدات تسعى لاحتلال مصر حتى أننا نجد السير « روبرت ولسن » القائد الانجليزى للجيش البرى فى تقريره المرفوع « للسير ايركرومبى » القائد العام للحملة الانجليزية لطرد الفرنسيين من مصر ، وقد نشر هذا التقرير فى انجلترا عام ١٨٠٣ ، يقول :

« ان الأحداث التى وقعت فى مصر قد فتحت لنا آفاقا واسعة جديدة عن هذا البلد ، واكدت لنا تأكيدات لا يرقى اليها الشك أن كل ما سبق هذا اليوم من المعلومات التى تألفت منها فى أذهاننا فكرتنا عن مصر لم تكن الا مجرد خيال ، ولقد تبين لنا انه لا بد للأسطول البريطانى من العمل على الحيلولة دون احتلال اية دولة لجزيرتى قبرص ومالطة وأن انجلترا على الرغم من أنها أعلنت نزاهة هدفها من حملتها ضد الفرنسيين فى مصر وتجردها من الأغراض الخفية لا بد من الاعتراف بما يمكن أن يتاح لانجلترا من عظيم المزايا لو ظلت مصر في قبضتها واتخذت منها مستعمرة كسائر المستعمرات البريطانية فى الهند ، فاحتلال مصر يعتبر من الضروريات القصوى لكفالة أمن بريطانيا ، وأن سعيها اليه لايقصد منه التوسع فى زيادة رقعة الارض التي تحتلها أو الطمع فى زيادة ثروتها وانما هو استجابة لداعى أمنها »

« ومن أجل ذلك كان من العسير على انجلترا أن تسمح لجيوشها بالجلاء عن مصر دون الافادة فى هذا الصدد من الظروف التى خلفتها الحملة الفرنسية ولا سيما أن جيوش بريطانيا دخلت مصر باسم سلطان تركيا ولحسابه فلم تكن والحالة هذه غازية » .

كذلك نلاحظ أن الدعوة الى احتلال بريطانيا لمصر كانت قد تفشت بين البريطانيين الاستعماريين اذ نجد لورد الجين سفير بريطانيا

فى القسطنطينية يرسم لحكومته فى رسالته المؤرخة فى ١٦ من نوفمبر سنة ١٧٩٩ خطة لبقاء الجيوش البريطانية فى مصر .

فقال : « ان عمل الجيش الانجليزى فى مصر لا ينتهى بمجرد هزيمة الجيش الفرنسى وطرده من مصر بل عليه ان يبقى فيها وأن يعلن أن بقاءه فى مصر انما هو بصفة مؤقتة مستندا فى ذلك الى استمرار قيام حالة الحرب بين انجلترا وفرنسا واحتمال عودة فرنسا الى تسيير جيش الى مصر لاحتلالها ، وبهذا يكون بقاء الجيش البريطانى فيها لحمايتها من الغزو الخارجى » (١) .

ويقول المؤرخ بولدين : فى مذكراته عن مصر والمنشورة فى عام ١٨٠١ : « ان انجلترا جديرة بأن تفخر بجواهر التاج البريطانى . ولكنها اذا استطاعت الاحتفاظ بمصر اضافت الى هذا التاج جوهرة لم تنتظم فيه جوهرة أثمن منها ! » .

بل ذهب بعض المسئولين البريطانيين الى حد أن تقوم بريطانيا « بتدمير مصر واغراق أراضيها » فى حالة مقاومة المصريين لمشروعات انجلترا الاستعمارية فى مصر .

غير انه تم فى ٢٥ من اغسطس سنة ١٨٠٢ توقيع اتفاقية الصلح بين فرنسا وتركيا ، وبذلك لم يبق لانجلترا من سند للبقاء فى مصر الا التمسك بما كان عقده القائد البريطانى « هتشنتون » مع المماليك من الاتفاقيات التى جعلت من انجلترا حامية لهم .

أما تلك الاتفاقيات التى حاولت بمقتضاها بريطانيا أن تمد فى بقائها فى مصر فلم تكن الا وسيلة استعمارية خبيثة ، اذ استطاعت بريطانيا أن تخلق ركيزا وعميلا لبث سياستها ، ولم يكن هذا العميل سوى المماليك بزعامة محمد الألفى أحد زعماء المماليك ، واشترت بريطانيا هؤلاء الخونة بثمن بخس وهو التلويح لهم بأنها ستسعى لدى السلطان لمساعدتهم فى حكم مصر .

ولكن على الرغم من ذلك لم تعترف تركيا بتلك الاتفاقات ، وظل الشعب المصرى يبدى تذمره وسخطه على الانجليز حتى اضطر هؤلاء الى الجلاء عن مصر سنة ١٨٠٣ .

ثالثا ــ انجلترا تقرر غزو مصر (حملة فريزر سنة ١٨٠٧) :

لم يكن خروج الجيش الانجليزى من مصر يعنى أن بريطانيا قد عدلت عن احتلال مصر ، بل انها كانت مضطرة الى هذا الجلاء لضغط

(١) محمد على الغتيت « الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس » .

تركيا عليها اولا ولابرام صلح اميان سنة ١٨٠٢ بينها وبين فرنسا ، وتضمن هذا الصلح شرط جلاء الانجليز عن مصر ٠ هذا بالاضافة الى حالة الشعب النفسية الثائرة ضد الغزاة .

نقول : خرج الانجليز من مصر وهم ينوون العودة اليها ، ولذا نجدهم قد صحبوا معهم الى انجلترا احد زعماء المماليك (الألفى بك) حتى يتفاوضوا معه ويرسموا له كيفية تنفيذ السياسة البريطانية فى مصر ، حتى يحين الوقت لغزو مصر .

وفى سنة ١٨٠٧ جاءت الحملة البريطانية الى مصر بقيادة فريزر، وحاولت الاتصال بالعملاء (المماليك) الا انها لم تنجح فى مسعاها هذا بسبب وفاة الألفى .

وتصدت المقاومة الشعبية للغزاة فأوقعت بهم الهزيمة عند رشيد والحماد وتم لمصر النصر ، وكان الفضل كله للقيادة الشعبية الماهرة وللشعب الذى لم يبخل بالمال والأرواح .

وبينما نجد أن الشعب قد رد بتصميم ونجاح حملة فريزر هذه نتيجة للمقاومة الشعبية التى نظمها بكفاية الزعماء وعلى راسهم السيد عمر مكرم نجد أن المأساة تظهر فى الوقت نفسه : ذلك أن « محمد على » قد ازعجه أن تنجح المقاومة الشعبية فى رد الغزاة ، وشعر على الفور بقوة الحركة الشعبية ، ولما كان محمد على لا يحسن النية بالزعامة الشعبية برغم أنها قد أوصلته للحكم ، بل انه لم يكن يؤمن بالحركة الشعبية ، عمل على تحطيمها حتى يخلو له الميدان وبذلك يتسنى له الحكم المطلق والمغامرات الفردية التى جرت على البلاد المصائب والكوارث المتلاحقة .

رابعا ـ مطامع محمد على الشخصية والمؤامرات البريطانية :

ومنذ أن ولى محمد على ولاية مصر راح يبنى جيشا وطنيا وأسطولا قويا استخدمهما فى حروبه ومغامراته العقيمة التى استهدفت مصالحه الفردية متجاهلا مصالح الشعب فى الوقت نفسه . وكان من نتيجة تلك الحروب المتصلة التى خاضها الجيش المصرى لتحقيق مطامع محمد على أن راحت انجلترا تدبر المؤامرات ضد مصر ومحمد على حتى تبلور الموقف فى آخر الأمر فى صورة التدخل الأوربى ومعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ .

ففى المدة من سنة ١٨١١ حتى سنة ١٨٣٩ والجيش المصرى ينتقل فى معارك وحروب كان له فيها النصر دائما ، ولقد أزعجت هذه الانتصارات تركيا والدول الغربية كثيرا حتى ان المسألة المصرية والمسألة

الشرقية ومسألة التوازن الاوربى عامة قد اصبحت موضع بحث ونظر دول أوربا ، فنشاهد ان روسيا قد نظرت بعين الخوف والوجل الى تقدم الجيش المصرى واقترابه من عاصمة تركيا ، وكان مصدر خوف روسيا أن يمتد نفوذ مصر الى البواغيز والبحر المتوسط وضفاف البسفور الدردنيل والبحر الاسود ، وكان ذلك يعنى عدم تمكن روسيا من تحقيق أطماعها فى تلك المناطق ، ومن ثم أسرعت روسيا الى نجدة السلطان ومد يد المساعدة اليه .

ومن جهة أخرى نجد فرنسا وانجلترا تبذلان جهدهما فى الضغط على محمد على حتى يسوى خلافاته مع السلطان ليبعدا الدب الروسى من بسط نفوذه على تركيا .

ونتيجة لكل تلك المساعى والمناورات تم اتفاق (كوتاهية) الا ان تركيا حاولت استرجاع سورية واقليم أدنة الى حوزتها ، وجهزت لذلك جيشا تحرش بالجيش المصرى وتحداه للقتال وهاجم حدود مصر الشمالية التى حددتها اتفاقية كوتاهية ، ودارت معركة حامية تم لجيشنا فيها الانتصار فى معركة نصيبين سنة ١٨٣٩ .

***

معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ :

برغم ان تركيا هى التى تحرشت بالقوات المصرية ، وبرغم انها قد نقضت اتفاقية كوتاهية ومع أن الجيش المصرى أجبر على القتال فى (نصيبين) حتى تم له النصر فان السياسة الدولية المعادية لمحمد على أبت أن تبقى اتفاقية كوتاهية مرعية من تركيا ومن جانب تلك الدول علما بأن تلك الاتفاقية كانت تدعو الى الاعتراف باستقلال مصر التام وانفصالها عن تركيا وانضمام سورية اليها .

ان هذا الموقف الدولى المعادى لمصر كان مرده الى انتصارات الجيش المصرى التى جعلت تلك الدول الأوربية تقف من المسألة المصرية مواقف مختلفة تبعا لاختلاف أطماعها ونزعاتها . وكانت انجلترا قوام المؤامرة الدولية على مصر فى عهد محمد على اذ قام (بالمرستون) رئيس الوزراء البريطانى فى ذلك الوقت بالجهد الأعظم فى حمل روسيا وتركيا وبروسيا على ابرام معاهدة لندن المشهورة فى ١٥ من يوليو سنة ١٨٤٠ .

***

مركز مصر الدولى كما تحدده معاهدة لندن :

ان معاهدة لندن هى الوثيقة الأساسية لمركز مصر الدولى من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٩١٤ ، فهى التى حددت هذا المركز وجعلت

لمصر شخصية دولية وجعلت حكومتها وراثية فى أسرة محمد على الا أن هذا الاستقلال كان مقيدا بالسيادة العثمانية مع دفع جزية سنوية للباب العالى وسريان معاهدات تركيا فى مصر ، واعتبار قواتها الحربية جزءا من قوات السلطنة العثمانية .

لكن هذه المعاهدة حرمت مصر ثمرة انتصاراتها المتوالية ، اذ نصت على ارجاع مصر الى حدودها الاصلية ، أى قبل حروبها الاخيرة وحرمانها حكم جزيرة العرب وسورية وكريت واقليم أدنة وتخويل محمد على حكم سورية الجنوبية ، وهددت الدول الاوربية الأربع باتخاذ وسائل العنف والقوة لتنفيذ شروطها فى حالة رفض محمد على قبولها .

وهكذا نجحت بريطانيا فى أن تحمل الدول على التدخل فى شئون مصر وأن تقف حجر عثرة فى سبيل استقلالها التام .

وهكذا ساق (محمد على) مصر وراءه الى مغامرات عقيمة استهدفت مصالح الفرد متجاهلة مصالح الشعب .

فماذا جنى الشعب المصرى من جراء الحروب الوهابية وحروب السودان وحروب اليونان والمورة ثم الحروب فى الشام وتركيا ؟ كانت تلك الحروب استغلالا لامكانيات مصر لمصلحة وأهواء محمد على الشخصية ، ولم يجن الشعب غير استنزاف موارد ثروته للانفاق على تلك الحروب ، وضياع شباب الوطن فى ميادين الحروب !

ان تلك الحروب المتواصلة قد عرقلت من تطور حركة اليقظة الشعبية فى مصر واصابتها بنكسة خطيرة كان لها أفدح الأضرار على الحياة المصرية .

فلقد كانت تلك النكسة من أهم الأسباب فى امتداد نفوذ الاجانب بمصر واشتداده .

***

خامسا ـ التسلسل الانجليزى وتدخل الدول الاوربية فى عهد خلفاء محمد على :

وكان من نتيجة عرقلة اليقظة المصرية واصابتها بالنكسة ان ظهر التدخل الأجنبى فى مصر الا انه :

« من سوء الحظ ان النكسة وقعت فى مرحلة هامة من مراحل تطور الاستعمار ، فان الاستعمار كان قد تطور فى ذلك الوقت من مجرد

احتلال المستعمرات واستنزاف مواردهـــا الى مرحلة الاحتكارات المالية لاستثمار رءوس الاموال المنهوبة من المستعمرات .

« وكانت النكســـة فى مصر بابا مفتــوحا لقوى السيطرة العالمية وركزت نشاطها فى اتجاهين واضحين ، هما حفر قناة السويس وتحويل أرض مصر الى حقل كبير لزراعة القطن لتعويض الصناعة البريطانيــة عن أقطان أمريكا التى قل ورودها بسبب انتهاء سيطرتها على أمريكا ثم انقطاع وصولها تماما بسبب ظروف الحرب الاهلية الامريكية » (١) .

وهذا يعنى أن النكسة جاءت فى ظرف خطير من تطور الاستعمار العالمى الى مرحلة الاحتكارات المالية الدولية .

وبدأ التدخل الاجنبى فى مصر فى عهد عباس الاول الذى كان على صلة مودة بالانجليز فأعطاهم امتياز انشاء خط حديدى بين القاهــرة والاسكندرية ، وكان الانجليز يمنون انفسهم باتمام هذا الخط وبانشاء خط آخر بين القاهرة والسويس ليمنعوا فرنسا من حفر ترعة برزخ السويس الذى يصـــل البحر المتوسط بالبحـــر الاحمر لما رأوه فى ذلك من خطر على مصالحهم فى المستعمرات البريطانية فى الشرق .

ثم كان عهد سعيد (١٨٥٤ ــ ١٨٦٣) :

الذى اشتهر بتساهله مع الاجانب وخاصة هؤلاء الذين لا مبادىء ولا خلق لهم وقد اتخذوا من الامتيازات الاجنبية حصنا يلجئون اليــه متى أعوزتهم الحيلة فى الحصول على مصلحة ذاتية لهم ، فجروا على البلاد شرا مستطيرا وويلات كانت سببا مبدئيا فى الخراب المالى فى المستقبل .

« وكان محمد سعيد مثالا للغالبية من أمراء هذا البيت (بيت محمد على) ضعيف العقل قليل الصبر معتل الجسد ، لم ينفع هــذا الشعب فى شىء بل ابتلاه بالأمرين معا اللذين قصما ظهره طوال القرن الماضى : الدين ، وقناة السويس ! كان أول من استدان وارتهن موارد الدولة ليؤدى الارباح الفادحة وكان هو الذى منح فرديناند ديليسبس الاذن فى حفر قناة السويس » (٢) .

ولم يكد يذاع فى العالم ان « سعيد » وافق ديليسبس على حفــر قناة السويس حتى انقلبت أوربا ضد المشروع وصاحبه الفـــرنسى ، وتزعمت هذه الحرب انجلترا .

وعقد سعيد أول قرض ثابت سنة ١٨٦٢ والى جانب هذا القرض ابتدع سعيد طريقة السندات على الخزانة وهى أن يستدين من المرابين

(١) الرئيس جمال عبد الناصر « الميثاق »
(٢) الدكتور حسين مؤنس « قناة السويس حقائق ووثائق »

ديونا سائرة بسندات يحررها على الخزانة بالقيمة المقترضة ، ولا يخفى ما لهذه الوسيلة من خطورة على مالية البلاد لأنها استدانة لا ضابط لها ولا رقابة عليها .

وتوفى سعيد تاركا دينا على مصر يقدر أصله بأزيد من عشرة ملايين من الجنيهات .

وأتى اسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) :

وازدادت الأزمة المالية شدة ، اذ توسع اسماعيل فى الاستدانة ، وامتدت يده بكثرة الى البنوك الاوربية فاقترض مبالغ ضخمة بفوائد عالية رهن بسببها موارد البلاد لسداد أقساطها ، وفى وصف ما حدث فى هذا الشأن يقول الدكتور حسين مؤنس :

أسرع سماسرة أوربا يزينون للولاة الاستدانة ، فأسرفوا فيها عن قلة نظر وسوء تقدير وقلة الاحساس الحقيقى الصادق نحو مصر ، واجتهد الزبانية فى ربط هذه الديون بارتهان موارد البلاد ومرافقها وتقدير أفحش الأرباح عليها ، ومضوا يهددون بالاستنجاد ببلادهم حتى غرقت مصر فى الدين وأصبحت مرافقها كلها رهائن بيد مصارف أوربية تؤيدها بلادها . وقد وصلت أرباح الدين فى بعض الاحيان الى ٢٠٪ وزيادة ، بل ان الملايين الاربعة التى باع اسماعيل بها أسهم مصر فى القناة اعتبرت دينا تدفع مصر عنه أرباحا قدرها ٥٪ مدى ٢٠ سنة وقد دفعتها مصر كلها .

ولا أدل على حقيقة قبح الاستعمار وجوره من أن نورد هذا البيان المالى فى شأن حفر قناة السويس :

فى سنة ١٨٦٤ أصدر نابليون حكمه الجائر ، بأن تدفع مصر ٣٫٣٦٠٫٠٠٠ جنيه لشركة القناة فى مقابل نزولها عن بعض شروط النهب والاحتيال التى استدرج ديليسبس الخديو « سعيد » للتوقيع عليها .

وفى سنة ١٨٦٦ دفعت مصر للشركة مليونين آخرين من الجنيهات فى مقابل التخلى عن شرط آخر من هذه الشروطة المجحفة .

وفى سنة ١٨٧٥ انتهزت انجلترا فرصة وقوع مصر فى ازمة مالية، فاشترت منها أسهمها فى القناة وعددها (١٧٦٫٧٠٢) بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات .. هذه الأسهم بلغت قيمتها سنة ١٩٢٩ مبلغ ٧٢ مليون جنيه وربحت منها الخزانة البريطانية الى تلك السنة ٣٨٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيه .

وفى سنة ١٨٧٦ استغلت أوروبا أزمة مصر المالية الشديدة فأرغمت مصر على النزول عن حصتها من أرباح الشركة وهى ١٥٪ فى

مقابل ۸۸۰٬۰۰۰ جنيه مع أن ايراد هذه الحصة فى السنة يبلغ ۸٦٩٬۰۰۰ جنيه .

وبرغم ذلك أخذت السحب السوداء تتجمع فى سماء مصر . وبدأت عواصف السياسة الاستعمارية تشتد فى مصر فألفت انجلترا لجنة لدراسة احوال مصر يرأسها استعمارى هو مستر ، كيف ، وكانت هذه فرصة جديدة لبريطانيا للتدخل فى شئون مصر . وعندما اكتشف هذا اسماعيل صرح لصحفى انجليزى يسمى بيتى كينجستون سنة ۱۸۷٦ : « ما كنت أظن قط أن انجلترا ترمى بشرائها أسهم قناة السويس وارسالها موظفا كبيرا لفحص حساباتى الى وضع يدها على مصر ».

وتحقق ما رآه اسماعيل بالفعل اذ أعقب ذلك انشاء صندوق الدين وأصبحت مصر بالفعل فى قبضة أوربا ، فان صندوق الدين كان أول هيئة رسمية أوربية أنشئت لفرض التدخل الاجنبى فى شئون مصر . « غير ان الاجراءات التى اتخذها اسماعيل مع ما تحمله من افتئات على سلطة الحكومة المصرية لم تقنع الحكومة الانجليزية ، فاتفقت مع الحكومة الفرنسية على فرض رقابتها الثنائية على المالية المصرية مع الابقاء على صندوق الدين » .

ثم طلبت الدولتان تأليف « لجنة التحقيق » الأوربية لفحص الحال .. واذعن اسماعيل لهذا الطلب مع ما فى ذلك من اعتداء صارخ على استقلال مصر ..

تلك كانت صورة التدخل الاجنبى فى مصر عن طريق الأزمة المالية.

أما المظهر الآخر للتدخل فقد كان عن طريق الامتيازات الاجنبية ، هذه الامتيازات التى بدأت منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

ان تلك الامتيازات كانت تمثل استبداد الدول الاوربية بالشرق عامة ومصر خاصة . ومما زاد فى خطورة تلك الامتيازات ضعف سعيد واسماعيل فى عهدهما (۱۸٥٤ — ۱۸۷۹) .

وفى أغسطس سنة ۱۸۷۸ قامت فى مصر وزارة خسيسة يرأسها أرتين نوبار الأرمنى ووزير ماليتها ريفرز ويلسون الانجليزى ووزير الاشغال فيها دى بلنيير الفرنسى .. وبدأت هذه الوزارة عملها بفصل ۲٥۰۰ ضابط مصرى من الجيش بحجة تخفيف عبء الميزانية ولم تدفع لهم متأخر رواتبهم عن ١٥ شهرا ماضية ، كما أقصت الموظفين المصريين عن السلطة وعزلت بعضهم وعينت فى الوقت نفسه بعض الاجانب .

كل ذلك أشعل جذوة الحركة الوطنية فى النفوس ... ويثور الجيش درع الأمة ، فتقوم ثورة عسكرية فى مظهرها الاول ثم تصطبغ بالطابع القومى ، تلك كانت الثورة العرابية .

الفصل الثالث

الثورة العرابية والاحتلال البريطاني

كانت الثورة العرابية حركة وطنية قومية انبعثت فى مصر وهى تعتبر بحق من قمم النضال الثورى والمقاومة الشعبية فى مصر ، هذا النضال الذى كان ثورة على التدخل الأجنبى فى شـــئون مصر وثورة أيضا على فساد الحكم الذى كان سائدا فى مصر • حيث كان الاستبداد والظلم ينشران ظلامهما •

ولم تكن هذه الثورة الا نتيجة لفساد أحوال مصر • ويتلخص هذا الفساد فى أمور ثلاثة :الحكم الاستبدادى المطلق، والأزمة الماليةالتى كادت تخنق مصر ، وتغلغل نفوذ الأجانب فى مصر •

وبدأت الثورة تأخذ طريقها الى أفئدة الشعب ، وكان هذا خلال اختمار الشعور القومى فى نهاية عهد الخديو اسماعيل حينما قام أحمـــد عرابى وصاحباه على فهمى وعبد العال حلمى يحتجون على تفوق العنصر الجركسى والتركى فى الجيش وسوء المعاملة التى كان يلقاها المصريون، فكان هذا سببا من أسباب الثورة

ويقول الدكتور عبد العزيز رفاعى : ظهرت طليعة الشعور القومى الجديد سنة ١٨٧٧ ثمرة عوامل تأصلت آثارها فى النفوس : مظالم كثيرة فى مجتمع ملىء بالالتزامات خال من الحقوق ، وتحكم تركى ظالم ، وأزمات مالية طاحنة ، ثمرة استغلال الاجانب مرافق البلاد ! »

وتهيأت البيئة المصرية لمناهضة هذه المظالم وخاصة أنه قد تلقت مصر فى تلك الفترة البذور الجليلة التى ألقاها جمـــال الدين الأفغانى فأينعت تلك البذور وما أسرع أن ظهرت فى البـــلاد حركة حرة كأعظم ما تكون الحركات الحرة ، فظهر الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم الذى أصبح خطيب الثورة العرابية •

بهذه العوامل والمؤثرات مجتمعة قام فى مصر رأى عام قومى جارف

والى جانب ذلك كانت هنـــاك اجتماعات سرية يعقدها الضباط الأحرار بزعامة أحمد عرابى ، وبهذا تألفت الثورة العرابية بمعناها الصحيح من التقاء العنصرين المدنى والعسكرى ..

هذه الثورة التى نجحت فى دعوتها للحكم النيابى فى أغسطس سنة ١٨٧٨ فى الوقت الذى كان اسماعيل مستندا فيه الى الروح القومى فى مواجهة ازدياد النفوذ الأجنبى ولاستعادة حكمه المطلق .

ومن ثم تألفت أول وزارة مصرية مسئولة برياسة نوبار ، ولكن الأمة ثارت على تلك الوزارة فاقيلت . وتألفت وزارة وطنية على رأسها محمد شريف الذى تقدم « باللائحـــة الوطنية » التى قــررت مبدأ مسئولية الوزارة أمام المجلس ، وهكذا تهيأت البلاد للحكم الدستورى .

فلما فشلت خطة أوروبا فى الاستيلاء على مصر عن طريق تدخلها المتزايد فى شئونها أخذت انجلترا وفرنسا على عاتقهما مهمة خلع اسماعيل من ولاية مصر ، وتم لهما ما أرادتا .

وفوجئت البلاد بعزل اسماعيل وخلفه على العرش أكبر أنجاله توفيق الذى أصبح ألعوبة فى أيدى الاجانب ، وكان وجود مثله على عرش مصر فى ذلك الوقت مما يضاف الى أسباب شقائها وسوء طالعها (١) .

وما لبث أن تنكر توفيق للحركة القومية ورفض الدستور ، فاستقال شريف سنة ١٨٧٩ وجاءت وزارة رياض الذى اشتهر بشدته ومعارضته للدســـتور .

وقامت ثورة الضباط فى الاول من فبراير سنة ١٨٨١ ضد عثمان رفقى وزير الحربية الشركسى الجنسية الذى كان يكره المصريين ويمنع ترقيتهم ، ويعمل كل ما يجعل الشراكسة فى الجيش العنصر الذى يسود !

وأناب الضباط الاحرار « أحمد عرابى » فى رفع الشكوى الى رياض ضد عثمان رفقى وتعصبه .

وحاول الخديو توفيق اعتقال عرابى وزميليه ، فثار الضباط والجنود وفكوا أسر عرابى وزميليه ، وذهب الجميع الى عابدين وطلبوا عزل رفقى ، ونجحوا فيما سعوا اليه وعين البارودى وزيرا للحربية .

وتميزت الشهور التى أعقبت ذلك باشتداد سوء العلاقات بين الخديو والضباط الأحرار الذين قادوا الثورة بنجاح وخاصة أن هذه الثورة كانت تمثل خطرا عظيما ضد الخديو وضد تدخل الاجانب فى شئون مصر .
ولقد أصبح الجيش بعد ذلك معقد رجاء الامة لتحقيق سيادتها .

(١) محمود الخفيف ومحمد شفيق غربال « فصل في الثورة العرابية » .

وفى سبيل اخفاق هذه الدعوى الثورية حاول رياض والخديو تدبير مشاجرة يقتل فيها عرابى ، فلما حاول البارودى ابعاد الجناة عن مناصبهم بادر توفيق باعادتهم متحديا بذلك البارودى ، ثم حاول الخديو تشتيت الضباط الاحرار فى مختلف جهات القطر ·

واشتدت حدة الصراع بين السراى والشعب حتى لم يبـــق أمام الضباط الاحرار غير اعلان مطالب الشعب للخديو ·

وهكذا تحددت معالم الثورة ، وكان لابد من ونبة الشعب ·

وفى يوم ٩ من سبتمبر سنة ١٨٨١ تقدم الجيش والشعب الى ميدار عابدين وتقابل الخديو وعرابى وجها لوجه ، وقدم عرابى مطالب الشعب للخديو وكانت هذه تتلخص فى اسقاط وزارة رياض المستبدة وتشكيل مجلس نواب وزيادة عدد الجيش الى الحد الذى تقرره الفرمانات .

ولكن الخديو الذى أحاط نفسه بحفنة من الباشوات والاقطاعيين واتخذ من الاستعمار سندا له تغطرس على عرابى وقال له :

« كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا خديو البلد أعمل زى ماأنا عاوز ، وقد ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم الا عبيد احسساناتنا »

وفى عزة وطنية وايمان بالله والوطن اجابه عرابى :

« لقد خلقنا الله أحرارا ، ولم يخلقنا تراثا أو عقارا فوالله الذى لا اله الا هو اننا لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم » .

وبعد أخذ ورد قبل الخديو اسقاط وزارة رياض المستبدة كما أجاب « عرابى » الى بعض تلك المطالب ووعد بأنه سينظر فى بقية المطالب ·

وأسندت الوزارة الى شريف بطل الدستور ·

ولكن الصفاء لم يدم طويلا بين الخديو والوزارة فقد « قدر على مصر مع الأسف ألا تنعم طويلا بهذا الصفاء ! وكيف كان يرجى ذلك وفى الأفق من أول الأمر بوادر الكدر ؟ فهذا الخديو يبيت الغدر فيدفع البلاد بالتوائه وغدره الى العنف ، وهؤلاء الأجانب يتربصون بمصر الدوائر وقد غاظهم نجاح الحركة الوطنية » (١) ·

وسرعان ما ظهرت أزمة الميزانية بين شريف ومجلس الشورى الذى طلب مناقشة الميزانية على حين كان شريف ينكر على المجلس هذا الحق ·

واغتنمت انجلترا وفرنسا الفرصة وتقدمتا بمذكرتهما المشتركة الى

(١) محمود الخفيف ومحمد شفيق غربال ــ فصل في الثورة العرابية

الحكومة المصرية فى ٨ من يناير سنة ١٨٨٢ وجاء فى تلك المذكرة : « ان الخديو سيجد من هذا التصريح الثقة والقوة اللتين يحتاج اليهما فى ادارة شئون مصر وأهلها • » وكان من الطبيعى أن تقابل هذه المذكرة فى مصر بالسخط العام وقبلها الخديو شاكرا بطبيعة الحال » (١) •

وسقطت وزارة شريف وتولاها البارودى وفيها عرابى وزيرا للحربية وكان ذلك فى فبراير سنة ١٨٨٢ وأقرت الوزارة الثورية الجديدة حــق المجلس فى مناقشة الميزانية ، كما أقرت مسئولية الوزارة أمام المجلس على أساس دستورى سليم •

وظلت كل من انجلترا وفرنسا تنتظر سنوح الفرصة للتدخل فى شئون مصر حتى وقع حادث المؤامرة الشركسية فاستغله الانجليز أقبح استغلال ، وقد كان من نتيجة تلك المؤامرة أن قامت أزمة حادة بين الوزارة الثورية والخديو الذى لم يوافق على الاحكام التى صدرت ضد الشراكسة المتآمرين !

وتتجمع قوى الشر : الخديو والرجعية والاقطاع ضد وزارة الثورة ؛ فينضم سلطان باشـــا رئيس المجلس الى الخديو ، وازاء كل ذلك يقدم البارودى استقالته ، ولكن « عرابى » أوحى الى الوزراء أن يقفوا مع الأمة • فلا يقدموا استقالتهم الا بأمر من مجلس النواب •

وانتهزت انجلترا وفرنســا تلك الأزمة فارسلتا أسطوليهما الى الاسكندرية فى شكل مظاهرة بحرية ، ووصل الاسطولان فى يوم ١٩ من مايو سنة ١٨٨٢ •

ومنذ وصول الاسطولين أخذ الخديو يتنمر للوطنيين معتزما ضرب الحركة الوطنية ضربة قاضية •

وفى يوم ٢٥ من مايو سنة ١٨٨٢ أى بعد وصول المظاهرة البحرية الاستعمارية بستة أيام تلقت الحكومة المصرية انذارا نهائيا من الدولتين وكان مضمون ذلك الانذار أن يخرج عرابى من مصر ، وأن يبعد كل من عبد العال حلمى وعلى فهمى الى بلده وأن تستقيل الوزارة •

ورفضت الوزارة المذكرة الا أن «توفيق» أعلن موافقته على الانذار فى يوم ٢٧ من مايو سنة ١٨٨٢ ، ومن ثم قدم البارودى استقالتــه لان قبول الخديو الانذار فيه مساس بحقوق السلطان •

ولما عجز الخديو عن اقامة وزارة جديدة اضطر الى اعادة عرابى على أن يضمن الأمن والنظام •

(١) د• أحمد عبدالرحيم مصطفى ـ الثورة العرابية •

غير انه فى ١١ من يونيه سنة ١٨٨٢ حدثت مذبحة الاسكندرية وهناك اجماع تام على أن تلك المذبحة كانت من تدبير الانجليز والخديو والخونة المحليين ، وقد اتخذها الانجليز ذريعة للتدخل المسلح فى مصر لضرب الحركة الوطنية تماما ، كما دبر الاستعمار وفاروق حريق القاهرة فى ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ لايقاف حركة الفدائيين فى القناة .

وفى ٢٣ من يونيو سنة ١٨٨٢ انعقد مؤتمر الآستانة ، وكان أعضاؤه سفراء انجلترا وفرنسا ونائب سفير ألمانيا وسفير النمسا والمجر ونائب السفير الروسى وسفير ايطاليا .

وأصدر المؤتمر فى ٢٥ من يونيو ميثاق النزاهة ، وفيه تتعهد الدول الاعضاء بأنها فيما ستتخذه من قرارات بشأن المسألة المصرية لن تسعى لنيل كسب خاص ، كما قرر المؤتمر وجوب التدخل فى مصر لاخماد الثورة وأن يعهد الى تركيا بهذه المهمة .

ولكن انجلترا كانت قد قررت التدخل وبالفعل ضربت الاسكندرية بقنابل أسطولها فى ١١ من يوليو سنة ١٨٨٢ .

والحقيقة أن بريطانيا قد طار صوابها وهى ترى فى ثورة عرابى اجماع الأمة على هدف واحد هو القضاء على التدخل الاجنبى والتخلص من عملاء الاستعمار والاحتكارات المالية الاجنبية ، واستمر الاسطول البريطانى يضرب الاسكندرية بقنابله التى تساقطت على جميع أنحاءالمدينة حتى أن جون أنينيه القنصل البريطانى بالاسكندرية قد وصفهذا الاعتداء الوحشى بقوله : « لا يسعنا الا أن نعترف بأنها كانت مجزرة لا موجب لها ولا مسوغ ، ولم يكن الباعث الا الشهوة الوحشية المتعطشة للدماء ، وقد دافع المصريون عن بلادهم دفاع الابطال ، وتفانى الاهالى فى الدفاع عن الاسكندرية وكانوا يقدمون الذخائر والمؤن الى رجال المدفعية «البواسل» الذين كانوا يواجهون نيران الاسطول البريطانى فى شجاعة نادرة ، ولم يكن ثمة أوسمة ولا مكافآت تستحث أولئك الفلاحين على أداء واجبهم بل ان عاطفة الوطنية والثورة على الفظائع التى استهدفوا لها كانت تستثير الحماسة فى صدورهم وهم هم أولئك الشجعان المجهولون الذين لم يفكر أحد فى آلامهم(١) » .

وبينما كان الشعب يواجه الغزاة كان الخديو يقيم بعيدا عنالضرب فى سراى مصطفى باشا .

وقد أضرمت النيران فى الاسكندرية ، وتسبب فى ذلك نيران

(١) عبد الرحمن الرافعى : « الثورة العرابية والاحتلال البريطانى » نقلا عن جون انينيه « عرابى باشا » .

الاسطول البريطاني وبعض الأوربيين وبعض أشقياء الاسكندرية وبعض الأروام ممن قصدوا الحصول على تعويضات ٠

وفي ١٣ من يوليو وصل الخديو الى سراى رأس التين واستقبله الاميرال بوشان سيمور ، ومن ذلك اتضح بشكل علني موقف الخديو توفيق وأعوانه من هذه الحرب الغادرة ٠

وكان ضرب الاسكندرية في تلك الظروف وبهذا الاسلوب وبناء على ادعاءات سيمور التى تمثل «قصة الذئب والحمل» محاولة لمواجهة الدول بالأمر الواقع لاقتناص الفرصة واحتلال مصر ٠

ويردد التاريخ في سنة ١٩٥٦ الصورة الاستعمارية نفسها حين أرادت انجلترا وفرنسا غزو مصر فى أثناء اشتغال أمريكا في انتخاباتها وروسيا في محاولة تهدئة ثورة المجر

وبينما فشلت الدولتان فى سنة ١٩٥٦ نجد أن انجلترا قد حققت أملها الذى عملت من أجله في احتلال مصر منذ سنة ١٧٩٨ ، هكذا كما يقول الدكتور عبد العزيز رفاعي : «اعتدت بريطانيا على حرمة القانون الدولى ، وقامت بهذا العمل الهمجي الذى لم يسبق له مثيل » ٠

ووصم العالم وزارة جلادستون بالعار عندما ضربت الاسكندرية من نتيجة ذلك أن قدم مستر جون برايت أحد أعضاء الوزارة البريطانية استقالته من الحكومة .

ومن المدهش حقا أن يتم العمل السابق نفسه فى سنة ١٩٥٦ حين قدم مستر انتونى ناتنج استقالته من الوزارة البريطانية احتجاجا على سياسة ايدن العدوانية ٠

ولم يكد الانجليز يستولون على الاسكندرية حتى سارع الجيش المصرى بالانسحاب من الاسكندرية ليقيم خطه الدفاعى فى كفر الدوار ٠ « وعندئذ أعلن توفيق عدم رضائه عن عرابى وزملائه ، وأن حكومة عرابى لا تمثل الحكومة الشرعية للبلاد ،كما دعا «عرابى» للتسليم للانجليز »(١)

وعقدت الجمعية العمومية للمجلس العرفى فى ٢٢ من يوليو ١٨٨٢ اجتماعا وصمت فيه الخديو بالخيانة لانحيازه للاعداء وأعلنت عدم اعترافها بعزل عرابى من وزارة الحربية ٠

واشتد التكتل الشعبى ، وظهرت وحدة المقاومة التى مثلها الشعب والجيش ٠

---

(١) الدكتور محمد أنيس «المقاومة الشعبية في مصر الحديثة» ـ اخترنا لك ـ ٣٠.

ورابط عرابى عند كفر الدوار ، الميدان الغربى ، حيث دارت بين القوات المصرية والغزاة المستعمرين معارك عنيفة تعتبر سجلا مجيدا لكفاح الشعب وشدة المقاومة الوطنية المتحدة .

ثم دارت معركة التل الكبير ، الميـــدان الشرقى ، وكان الانجليز والخديو قد اتفقوا على الوسيلة التى يضربون بها المقاومة الشعبية ومقاومة العرابيين الأبطال ، وانتهوا الى أن خير وسيلة للقضاء على تلك الانتفاضة الوطنية هى الرشوة وبث السموم بين الناس للعمل على التفرقة بينهم !

وبتلك الوسائل الدنيئة استطاعت بريطانيا هزيمة القـوات المصرية فى التل الكبير نتيجة للخيانة التى طعنت المقاومة الشـعبية من الخلف ، وبسبب ثقة عرابى فى ديليسبس الذى خدعه بحيدة القناة ، وان الانجليز لن يستعملوا القناة فى الهجوم على مصر ، ولكن الذى حدث أن دخلت الجيوش البريطانية مصر عن طريق القناة !

وحاول عرابى الدفاع عن القاهرة الا أن اعـــلان السلطان عصيان عرابى بجانب ما كان يردده الاقطاعيون والانتهازيون لم يمكن « عرابى » من ذلك .

ودخل البريطانيون القاهرة فى ١٤ من سبتمبر ١٨٨٢ نتيجة للخيانة التى أدت الى هزيمة القوات المصرية .

وبدخول القوات الغازية القاهرة دخلت مصر مرحلة جديدة من مراحل كفاحها ضد الغزاة .

الباب الثانى

الاحتلال البريطانى لمصر

الفصل الأول

سياسة الاحتلال البريطاني لمصر

حققت بريطانيا اذن حلمها فى احتلال مصر ، هذا الحلم الذى تجسم منذ الحملة الفرنسية على مصر ، فظلت مسألة الاحتلال بالنسبة لها بمثابة تأمين لمواصلاتها الى مستعمراتها فى الشرق ٠

وتم لبريطانيا مسعاها الاستعمارى فى سرعة خاطفة . فدخلت قواتها مدينة القاهرة فى يوم ١٤ من اكتوبر سنة ١٨٨٢ .

وعاد الخديو توفيق الى القاهرة يوم ٢٥ من أكتوبر ١٨٨٢ فى موكب بدا عليه طابع الاحتلال « ايذانا بأن الخديو دخل عاصمة ملكه فى حماية الجيش البريطانى أو فى أسره » (١) ٠

وما لبث أن تكشف الموقف عن عملاء الاستعمار وكانوا أقلية ، لكن تلك الأقلية كانت تملك فى يدها مقدرات الوطن واقتصادياته ، هؤلاء كانوا أعيان مصر ورجال الاقطاع يتقدمهم (سلطان باشا) رئيس مجلس النواب والذى كان صورة شرسة للانتهازية التى احتضنتها أسرة محمد على المغامرة !

وأخذ الخديو يغدق العطاء على الخونة الذين طعنوا الانتفاضة الوطنية الباسلة التى قام بها الشعب بقيادة عرابى وينكل بالاحرار ٠

وكان أول ما قام به الاحتلال البريطانى هو تصفية تلك الانتفاضة الوطنية بالنفى والسجن ومصادرة الاملاك للزعماء الوطنيين الذين دافعوا عن بلادهم أمام اعتداء الانجليز ٠

وفى ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ صدر الحكم باعدام عرابى وعبد العال حلمى والبارودى وغيرهم من الضباط الوطنيين ثم استبدل الخديو بهذا الحكم كمناورة لتهدئة الخواطر النفى المؤبد الى سيلان بعد أن تم تجريدهم من ألقابهم وصودرت أملاكهم ٠ كما تم نفى كثير من الزعماء الوطنيين ومنهم الشيخ محمد عبده ٠

(١) عبدالرحمن الرافعى « الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى » ٠

وهكذا تم للاحتلال والخديو والقوى السوداء فى مصر القضـاء على المقاومة الشعبية التى تعرضت للحكم الاستبدادى وعلى التدخل الاجنبى فى البلاد ٠

ومنذ ١٤ من سبتمبر سنة ١٨٨٢ أصبح قنصل بريطانيا صـاحب أعلى نفوذ فى البلاد ، وحاولت بريطانيا أن تقنع العالم بأنها جاءت الى مصر لانقاذها من الفوضى « واعادة حياة الاطمئنان والاستقرار والعمل على اصلاح حال الفلاح » هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فانها ــ كما ادعت ــ جاءت لحماية الآقليات والاجانب فى مصر ، وكانت بريطانيا تدعى ذلك امام الدول حتى تظهر أمامها بأن قوات الاحتلال ستحمى الاحتكارات الاجنبية المتفشية فى مصر ، اما أهم مهمة فى نظر بريطانيا وأوجبها عليها فقد كانت حماية مصالحها الخاصة السياسية والحربية والاستراتيجية « ثم المحافظة على قناة السويس ومصـالح البريطانيين التجـارية والمالية » (١) .

وفى سبيل تنفيذ السياسة البريطانية فى مصر أوفدت اللورددوفرن للاشراف على أمر تسـوية المسألة المصرية وحضر دوفرن الى مصر فى نوفمبر سنة ١٨٨٢ .

وظل دوفرن فى مصر يدرس أحوالها ونظمها وفى النهاية قدم لحكومته تقريره المشهور المؤرخ فى ٦ من فبراير ١٨٨٣ وكان تقريره يهـدف الى تثبيت سلطة انجلترا فى مصر قبل كل شيء « ووضع نظام مستقر من شأنه تأييد سلطة الخديو ومنع الاستبداد فى الادارة والحكم بحيث لا تظهـر انجلترا أمام الجمهور المصرى وكأنها تدير أمور مصر » (٢) ٠

وعلى ذلك سنرى أنه « لما جاء الاستعمار البريطانى ٠ لم يحكم البلد صراحة بضباطه الانجليز ٠

« فقد كان ذلك حريا أن يضعه أمام الشـعب وجها لوجه ، وكان الاستعمار يرى أن خير ما يلائم أهدافه ويحقق أغراضه هو أن يختفى وراء الستار ولا يقف امامه وأن يدير الملهاة بل المأساة من خلف المسرح ولا يظهر عليه ٠

وهكذا زيف الاستعمار تاجا ، وأقام من الوهم عرشـا ثم بدأ يجىء بالدمى والاصنام يصنع منها فوق رءوسنا ملوكا وأمراء ٠٠ » (٣)

(١) الدكتور محمـد مصطفى صفوت « الاحتلال البريطانى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه » .

(٢) الدكتور محمد مصطفى صفوت (المرجع السابق) .

(٣) الرئيس جمال عبد الناصر « من بيانه أمام مجلس الامة سنة ١٩٥٧ » .

كان دوفرن يرى تأييد الخديو توفيق فى نطاق محدود بحيث يكون دائما تحت ارشاد الانجليز ورعايتهم ، وفى الوقت نفسه يتبع السلطان نظريا الا أنه فى الحقيقة كان ألعوبة فى يد المعتمد البريطانى وأداة لتنفيذ سياسة الانجليز فى مصر .

بعد ذلك استبدار دوفرن واشترك فى تصفية الثورة العرابية ، ثم أقدم على تصفية الجيش المصرى « فالجيش كما اعتقدوا كان مصدر الاضطرابات ومنبع الخطر على مصالح الاجانب ونفوذ الدولتين الكبيرتين ولذا سرح الجيش الذى اشترك فى ثورة عرابى » (١) .

أما ما جاء فى مقترحات دوفرن بشأن انشاء جيش مصرى جديد فقد كان يرى أن يكون عدد الجيش قليلا ، ولابد من استخدام عدد من الضباط الانجليز فيه ، كما يجب أن يكون قائد الجيش انجليزيا !

وتولى سير افلن وود أمر الجيش الذى أصبح منذ ذلك الوقت فى قبضة القوات المحتلة يستخدمونه فى تنفيذ اغراضهم ، كما حتمت انجلترا استيراد المؤن والاسلحة الحربية اللازمة للجيش من بريطانيا .

أما البوليس المصرى فقد عين له دوفرن مفتشا عاما انجليزيا وعهد بأمره الى بيكر الانجليزى .

ووجه دوفرن اهتمامه لمسألة نظم الحكم فى مصر وكان « لا يرى ان النظام البرلمانى الصحيح ملائم لمصر ، كما يرى فيه تعطيلا لاعمال الحكومة دون داع .

وكان أول معتمد بريطانى فى مصر هو « السير افلين بيرنج او لورد كرومر) الذى جاء الى مصر كمعتمد فى ١١ من سبتمبر سنة ١٨٨٣ وكان كرومر متسما بالقوة مؤمنا بالامبراطورية البريطانية . ولقد مثل المستعمر ذا البأس والبطش الشديد فقد نفذ فى مصر سياسة وأهداف الاستعمار المتسلط ، وكان لايحسب حسابا لكرامة المصريين القومية . « ولذا كان عزيزا على المصريين أن يتخلصوا من استبداد ليجدوا محله استبدادا آخر » (٢) .

ومع ان انجلترا كانت تردد باستمرار على مسمع من العالم أن الاحتلال مؤقت فان كرومر لا يرى أن فى الجلاء عن مصر مصلحة لبريطانيا ، أى انه كان يرمى الى استمرار الاحتلال ، فهو يقول : « أظن أن استمرار الاحتلال البريطانى الى أجل غير محدود يجب أن يكون أساس المفاوضات فى المستقبل بشأن الامور المصرية » وكما يقول فى جهة أخرى :

(١) الدكتور محمد صفوت « الاحتلال البريطانى لمصر » .
(٢) الدكتور محمد صفوت « المرجع السبق » .

« يجب علينا ازاء الباب العالى ألا نحدد فترة لجلائنا وانما نحدد فترة نناقش عند انتهائها موقفنا من جديد ، وفى ضوء هذه المناقشات نحدد مرة أخرى موقفنا من المسألة المصرية » .

فكان كرومر يحاول كما يقول الدكتور صفوت أن « يوفق بين الامبريالزم الانجليزى كما يفهمه الاستعماريون الراسخون وآراء (جلادستون) الحرة ، كان عليه تحقيق مطامع انجلترا الاستعمارية والمحافظة على مصالحها محافظة تامة ، ولكنه فى الوقت نفسه يترك للمصريين ظلا ضعيفا من الحكم الذاتى » (١) .

ولتطبيق الخطة الانجليزية الاستعمارية فى مصر قام كرومر بتعيين عدد من الموظفين الانجليز فى المصالح الحكومية « رمزا لاشراف انجلترا على الادارة المصرية » وحتى يضمن الانجليز تنفيذ المقترحات البريطانية .

وكانت الضائقة المالية أهم المشاكل التى واجهها كرومر ، وقد وفق فى علاج تلك المشكلة بعد أن توافرت له وسائل وأساليب قوية مكنته من اصلاح الادارة المالية اصلاحا موقوتا .

ومن أساليب كرومر فى علاج المسألة المالية أنه شرع منذ سنة ١٨٨٥ فى سياسة بيع أراضى الدومين والدائرة السنية .

ثم اهتدى كرومر فى سنة ١٨٨٦ الى « مصدر مالى عجيب » وهو بدل الجندية العسكرية » فقد صدر فى تلك السنة أمر عال يقضى بأن كل شخص قابل للتجنيد يستطيع أن يعفى من الجندية متى دفع للحكومة مبلغا يختلف بين ٤٠ جنيها قبل الاقتراع و ١٠٠ جنيه بعد التجنيد، وكان المشروع يرمى لغرض مالى قبل كل اعتبار (٢) كما أن « كرومر » قد عزم على أن يحل المشكلة بشىء شبيه بالشعوذة ، فبعد أن كانت مرتبات الموظفين تدفع اليهم فى آخر الشهر قرر أن تدفع اليهم أول الشهر الذى يليه وقد نجم عن ذلك أن ميزانية سنة ١٨٨٧ لم تؤد غير مرتبات أحد عشر شهرا .

ومن كل هذا وبالاضافة الى المعونة التى قدرها اتفاق سنة ١٨٨٥ بأداء جميع الديون السائرة كان كافيا لان تنهض الميزانية فى مصر (٣) .

وهكذا استطاع كرومر أن يحل المشكلة المالية ، وسنرى أن حل تلك المشكلة كان من أهم ما غير ما فى ذهن بعض ساسة انجلترا من التفكير فى الجلاء .

(١) المصدر السابق .

(٢) كان هذا المصدر ضمن خطط الاستعمار في تصفية الجيش كما انه مظهر لتحقير الجندية في نظر الشعب المصرى بحيث يظهر انها عبء ثقيل يتخلص منه القادر دون الفقير .

(٣) الدكتور عبدالعزيز رفاعى « قضية الجلاء من مصر » .

أما الأسلوب الذى جرى عليه « كرومر » فى شأن التعليم فكان متفقا مع السياسة الاستعمارية التى تهدف الى عرقلة وتعويق الحركة التعليمية بالبلاد •

وبالنسبة لسياسة انجلترا تجاه اقتصاد مصر فقد كانت سياسة احتكارية محضة تستهدف الاستئثار لأبنائها ولمؤسساتها وشركاتها باستغلال جميع المشروعات الرئيسية فى المجال الاقتصادى لكل مشروع ضخم ! ان اللورد كرومر لم يفته أن يطبق كل الاساليب الاستعمارية فى مصر بحيث تناولت أساليبه كل طاقات مصر فسخرتها لمصلحةالاستعمار حتى حول مصر الى مزرعة لبريطانيا سخر قطنها لتزويد مصانعالنسيج فى لانكشير !

ومن ناحية الحياة النيابية أعطى الاستعمار الشعب المصرى شكلا من أشكال الحياة النيابية كان هذا الشكل رمزيا وصوريا لا يتفق مع الديمقراطية الحقيقية وحقوق الشعب فى شيء ، فأقدموا على انشاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ومجالس للمديريات (١) •

وهكذا بينما نجد الاستعمار البريطانى ينشيء ذلك النظام النيابى الصورى يجب ألا ننسى أن الانجليز كانوا قد ألغوا النظام الدستورىالذى حققته البلاد فى عهد اسماعيل •

واتبع الانجليز سياسة القمع والشدة فملئواالسجون بكل منيشتبه فى أمره كما صادروا حرية الصحافة ، ويجدر بنا الاشادة بدور جريدة العروة الوثقى التى كان يصدرها السيد جمال الدينالافغانى والشيخمحمد عبده من باريس اذ تعتبر أول صحيفة قاومت الاحتلال فى عهده الأول ، وعملت على بث روح الأمل والجهاد ضد السياسة البريطانية فى الشرق •

وفى أثناء قيام السياسة البريطانية بتنفيذ أغراضها الاستعمارية فى مصر كان الموقف قد أصبح خطيرا جدا فى أواخر سنة ١٨٨٣ ولما طلبت حكومة شريف مساعدة انجلترا لها فى وضع الامور فى نصابها واستقرار وتهدئة الخواطر فى السودان تلك الخواطر التى أهاجتها ثورة المهدى رفضت انجلترا مساعدة مصر ، بل ووقفت فى وجه محاولة مصرية ترمى الى اقامة أى نظام للحكم فى السودان ، وأصرت انجلترا على ضرورة اخلاء السودان من القوات المصرية •

ولما تم جلاء مصر عن السودان أخذت بريطانيا تحيط السودان بقواعدها فى أوغندة وفى وادى حلفا وسواكن وزيلع وفى جنوبى مديرية خط الاستواء •

(١) محمد على الغتيت « الشرق والغرب من الحروب الصليبية الى حرب السويس » •

ثم قامت بريطانيا بتسخير مصر لتحقيق اغراضها فى السودان : وبيان ذلك أن مصر كانت قد قررت استرجاع السودان بعد أن ضعفت الثورة المهدية ، ورحبت بريطانيا بذلك وهى تعمل لمصلحتهاوأنفذت انجلترا حملة من القوات المصرية وعلى رأسها سردار الجيش المصرى « السير هربرت كيتشنر » ٠

وقامت هذه الحملة المصرية الى السودان سنة ١٨٩٦ بقيادة كتشنر باسم خديو مصر وتوسل بسلطة الخديو فى ندائه الى السودانيين يدعوهم أن يعودوا الى الطاعة ثم وقع حادث فاشودة في سنة ١٨٩٨ فتمسك كتشنر بالسيادة المصرية وكان تمسكه بها هذه المرة فى ميدان السياسة الدولية ٠ وتفصيل ذلك أن حملة فرنسية كانت قد احتلت مدينة فاشودة ورفع قائدها الكولونيل مارشان علم فرنسا عليها ولم يرض أن ينزله الا عندما أعلن كتشنر أنه تلقى أوامر من الحكومة المصرية باعادة السياسة المصرية على مدينة فاشودة ٠

والواقع أن بريطانيا كانت تتذرع بحقوق مصر فى وادى النيل كلما اصطدمت فى أفريقيا بمطامع غيرها من الدول الأوربية » (١) ٠

وهكذا سوى الخلاف بين بريطانيا وفرنسا باعلان التصريح الانجليزى الفرنسى فى ٢١ من مارس سنة ١٨٩٩ وهو التصريح الذى سلمت فيه فرنسا بالانسحاب من وادى النيل على أن تحقق أطماعها فى اتصال ممتلكاتها فى شمال أفريقيا وغربها ووسطها ببعضها ٠

ولكن تلك التسوية الاستعمارية ، كان قد سبقها صورة مزرية للأطماع البريطانية فى مصر ، وكانت تلك الأطماع قد أخذت مظهرا للاكراه البريطانى على حكومة مصر حين أرغمت على توقيع الاتفاق على الحكم الثنائى على الأراضى الواقعة جنوب خط عرض ٢٢ درجة شمال خط الاستواء ، أى السودان ، وهذا هو ما يعرف اليوم بوفاق سنة ١٨٩٩ ٠

وهذا الوفاق « ولد باطلا لأنه يخالف التحديد الذى أصدرته الحكومة الانجليزية عن مصر عام ١٨٨٣ أى بعد الاحتلال الانجليزى والذى اعترف بأن السودان المصرى يحد جنوبا بخط يمر فى بحيرتى البرت وفيكتوريا ويصل الى رأس جردتون » (٢) ٠

والحقيقة أن بريطانيا استغلت بعض الوحدات البريطانية القليلة من

---

(١) من بيانات وفد مصر امام مجلس الأمن في ٥ من أغسطس سنة ١٩٤٧ ٠

(٢) محمود كامل المحامى ــ العمل لمصر ــ نقلا عن حسين رشدى (باشا) « بحث في حالة السودان السياسية » اشهر في مايو سنة ١٩٢٢ ٠

الجيش المصرى الذى كان كتشنر يتولى قيادته وتقدمت بما سمته « حقوقا ترتبت لحكومة صاحبة الجلالة بحق الفتح » لتبرير المشاركة فى ادارة السودان ووضع وفاق سنة ١٨٩٩ لتحقيق هذا الغرض •

ولقد وصف المفاوض البريطانى لورد كرومر طبيعةهذا الوفاق وصفا صادقا فى كتابه « مصر الحديثة » اذ جاء فيه ما يلى :

« لقد كان ضروريا اذن أن يبتدع نظام يكون السودان بمقتضاه فى آنواحد مصريا الىالحد الذى يتفق معمقتضيات العدل والسياسةوبريطانيا الى حد يكفل تجنب ادارة البلاد أن يعوقها نظام الامتيازات الأجنبية الذى يلازم حياة مصر السياسية ، وكان من الواضح أنه لا يمكن التوفيق بين هذين الاعتبارين المتعارضينبغير خلق نظام هجين منالحكم لم يعرفه القانون الدولى من قبل » •

والآن نورد نص وفاق سنة ١٨٩٩ :

وفاق

بين حكومة جلالة ملكة الانكليز وحكومة الجناب العالى خديو مصر

بشأن ادارة السودان فى المستقبل

حيث ان بعض أقاليم السودان التى خرجت عن طاعة الحضرة الفخيمة الخديوية قد صار افتتاحها بالوسائل الحربية والمالية التى بذلتها بالاتحاد حكومتا جلالة ملكة الانجليز والجناب العالى الخديو •

وحيث قد أصبح من الضرورى وضع نظام مخصوص لأجل ادارة الأقاليم المفتتحة المذكورة وسن القوانين اللازمة لها بمراعاة ما هو عليه الجانب العظيم من تلك الأقاليم من التأخر وعدم الاستقرار على حال الى الآن وما تستلزمه حالة كل جهة من الاحتياجات المتنوعة •

وحيث انه من المقتضى التصريح بمطالب حكومة جلالة الملكة المترتبة على ما لها من حق الفتح وذلك بأن تشترك فى وضع النظام الادارى والقانونى الآنف ذكره وفى اجراء تنفيذ مفعوله وتوسيع نطاقه فى المستقبل •

وحيث أنه تراءى من جملة وجوه أصوبية الحاق وادى حلفا وسواكن اداريا بالاقاليم المفتتحة المجاورة لهما •

فلذلك قد صار الاتفاق والاقرار فيما بين الموقعين على هذا بما لهما من التفويض اللازم بهذا الشأن على ما يأتى وهو :

(المادة الأولى)

تطلق لفظة السودان فى هذا الوفاق على جميع الاراضى الكائنة الى جنوبى الدرجة الثانية والعشرين من خطوط العرض وهى :

أولا ـ الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ سنة ١٨٨٢ أو

ثانيا ـ الاراضى التى كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبل ثورة السودان الأخيرة وفقدت منها وقتيا ثم افتتحتها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية بالاتحاد أو .

ثالثا ـ الأراضى التى قد تفتتحها بالاتحاد الحكومتان المذكورتان من الآن فصاعدا .

(المادة الثانية)

يستعمل العلم البريطانى والعلم المصرى معا فى البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يستعمل فيها الا العلم المصرى فقط .

(المادة الثالثة)

تفوض الرياسة العليا العسكرية والمدنية فى السودان الى موظف واحد يلقب (حاكم عموم السودان) ويكون تعيينه بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته الا بأمر عال خديوى يصدر برضاء الحكومة البريطانية .

(المادة الرابعة)

القوانين وكافة الأوامر واللوائح التى يكون لها قوة القانون المعمول به والتى من شأنها تحسين ادارة حكومة السودان أو تقرير حقوق الملكية فيه بجميع أنواعها وكيفية أيلولتها والتصرف فيها يجوز سنها أو تحريرها أو نسخها من وقت الى آخر بمنشور من الحاكم العام ، وهذه القوانين والأوامر واللوائح يجوز أن يسرى مفعولها على جميع أنحاء السودان أو على جزء معلوم منه يجوز أن يترتب عليها صراحة أو ضمنا تحوير أو نسخ أى قانون أو أية لائحة من القوانين أو اللوائح الموجودة .

وعلى الحاكم العام أن يبلغ على الفور جميع المنشورات التى يصدرها من هذا القبيل الى وكيل وقنصل جنرال الحكومة البريطانية بالقاهرة والى رئيس مجلس نظار الجناب العالى الخديوى .

(المادة الخامسة)

لا يسرى على السودان أو على جزء منه شىء ما من القوانين أو الأوامر العاليــة أو القرارات الوزارية المصرية التى تصــدر من الآن فصــاعد ،الا ما يصدر باجرائه منها منشور من الحاكم العام بالكيفية السالف بيانها ٠

(المادة السادسة)

المنشور الذى يصدر من حاكم عموم الســودان ببيان الشروط التى بموجبها يصرح للأروبيين من أية جنسية كانت بحرية المتاجرة أو السكنى بالسودان أو تملك ملك كائن ضمن حدوده لا يشمل امتيازات خصوصية لرعايا أية دولة أو دول ٠

(المادة السابعة)

لا تدفع رسوم الواردات على البضائع الآتية من الأراضى المصرية حين دخولها الى السودان ولكنه يجوز مع ذلك تحصيل الرسوم المذكورة على البضـــائع القــادمة من غير الأراضى المصرية ، الا أنه فى حالة ما اذا كانت تلك البضائع آتية الى السودان عن طريق سواكن أو أية ميناء أخرى من موانى ساحل البحر الأحمر لا يجوز أن تزيد الرســوم التى تحصل عليها عن القيمة الجارى تحصيلها حينئذ على مثلها من البضائع الواردة الى البلاد المصرية من الخارج ٠ ويجوز أن تقرر عوائد على البضائع التى تخرج من السودان بحسب ما يقدره الحاكم العام من وقت الى آخر بالمنشورات التى يصدرها بهذا الشأن ٠

(المادة الثامنة)

فيما عدا مدينة سواكن لا تمتد سلطة المحاكم المختلطة على أية جهة من جهات السودان ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه ٠

(المادة التاسعة)

يعتبر السودان بأجمعه ، ماعدا مدينة ســـواكن ، تحت الأحكام العرفية ويبقى كذلك الى أن يتقرر خلاف ذلك بمنشور من الحاكم العام ٠

(المادة العاشرة)

لايجوز تعيين قناصل أو وكلاء قناصل أو مأمورى قنصليات بالسودان ولا يصرح لهم بالاقامة به قبل المصادقة على ذلك من الحكومة البريطانية

(المادة الحادية عشرة)

ممنوع منعا مطلقا ادخال الرقيق الى السودان أوتصديره منه وسيصدر منشور بالإجراءات اللازم اتخاذها للتنفيذ بهذا الشأن ٠

(المادة الثانية عشرة)

قد حصل الاتفاق بين الحكومتين على وجوب المحافظة منهما على تنفيذ مفعول معاهدة بروكسل المبرمة بتاريخ ٢من يولية سنة ١٨٩٠ فيما يتعلق بادخال الأسلحة النارية والذخائر الحربيـــة والأشربة المقطرة أو الروحية وبيعها أو تشغيلها ٠

تحريرا بالقاهرة فى ١٩ من يناير سنة ١٨٩٩ ٠

الامضاءات :

(كرومر) (بطرس غالى)

حيث قد تقرر فى المادة الثامنة من الوفاق المعقود بيننا فى ١٩من يناير سنة ١٨٩٩ بشأن ادارة السودان فى المستقبل أن سلطة المحاكم المختلطة لا تمتد على أى قسم من أقسامه ولا يعترف بها فيه بوجه من الوجوه ما عدا مدينة سواكن ٠

وحيث انه لم تشكل محـــكمة مختلطة بسواكن فى أى وقت من الأوقات وقد تراءى عدم مناسبة ذلك التشكيل الآن وخصوصا لما يترتب عليه من النفقات ٠

وحيث ان عدم وجود محـــكمة أهليـــة بسواكن لفصل ما يحدث من المنازعات بين أهليها قد ألحق بهم ضررا جسيما فيكون حينئذ من الصواب اجراء المساواة بين تلك المدينة وبين باقى السودان ٠

وحيث أنه بناء على ما ذكر قد تراءى لنا تعديل الوفاق المشار اليه ٠ فبما لنا نحن الموقعين على هذا من التفويض التام فى ذلك قد حصل التراضى والاتفاق بيننا على ما هو آت :

المادة الاولى

تعتبر ملغاة من الآن النصوص الواردة فى وفاقنـــا الرقيم ١٩ من يناير سنة ١٨٩٩ التى كانت بموجبها مدينة سواكن مستثناة من أحكام النظام الذى تقرر فى ذلك الوفاق لادارة السودان فى المستقبل ٠

تحريرا بمصر فى ١٠ من يوليو سنة ١٨٩٩

امضاء (بطرس غالى)

امضاء (كرومر)

والواقع أن بريطانيا قد اتخذت هذا الوفاق ذريعة للمشاركة فى ادارة السودان أولا ثم فى الانفراد بحكم السودان وطرد مصر منه .

ولقد دأب البريطانيون منذ توقيع ذلك الوفاق على استعمال تعبير الحكم الثنائى برغم انه لم يرد فى نصوص الوفاق قط ، وكانوا لا يرمون بذلك الا الى الايهام بأنهم يشاركون مصر فى السيادة على السودان .

والواقع من الامر ان وفاق سنة ١٨٩٩ لم يتعرض لموضوع السيادة على الاطلاق ، فقد كان مجرد اتفاق خال من شرائط الرسمية وقعه رئيس وزراء مصر وقنصل بريطانيا العام دون تبادل أية وثيقة من وثائق التفويض . ولم تكن أحكامه محل تصديق ولم يعرض لموافقة المجالس التشريعية .

وعلى كل فان ذلك الوفاق ما هو الا تدبير عملى أريد به مجاراة الظروف .

فنرى أن ذلك الوفاق قد جمع السلطات العسكرية والمدنية كافة فى يد موظف واحد هو الحاكم العام البريطانى الذى وجه الادارة توجيها نم عن اغفال مطلق لحقوق مصر .

ثم حانت الفرصة لبريطانيا لجعل سيطرتها على السودان أكمل ما يمكن أن تكون ولوضع حد (للادارة المشتركة) التى أنشأها ذلك الوفاق ، فقد حدث فى سنة ١٩٢٤ أن قتل بالقاهرة سردار الجيش المصرى الذى كان فى الوقت نفسه حاكما عاما للسودان ، وكان مقتله بفعل أفراد غير مسئولين ، فأسرعت بريطانيا الى الافادة من الحادث . فدفعت مصر نصف مليون جنيه تعويضا عن الحادث ، ثم سحب الجيش المصرى من السودان ، واطلقت بريطانيا يدها فى مياه النيل خلافا لكل اتفاق سابق .

وقد جاء فى تقرير معتمد عن المسائل الدولية نشره فى لندن المعهد الملكى البريطانى تعقيبا على أحداث سنة ١٩٢٤ ما يلى : « ان الاجراء الذى اتخذ فى هذه المسألة كان مهينا للحكومة المصرية اهانة تكاد تبدو فى كل جزئية من جزئياته » (١) .

(١) من بيانات محمود فهمى النقراشي رئيس مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر امام مجلس الامن سنة ١٩٤٧ .

الفصل الثاني

اتجاهات بريطانيا من مسألة الجلاء

لما كان احتلال بريطانيا لمصر أمرا غير شرعي،اذ لم يكن لهذا الاحتلال أى مسوغ يقره القانون الدولى ٠ فلم تكن مصر وقت الاحتلال أرضا مباحة أى لا مالك لها حتى يجوز لبريطانيا احتلالها وحيازتها قانونا،ولقد استقر الرأى لدى فقهاء القانون الدولى على أنه « لأجل أن يكون الاحتلال طريقة شرعية من طرق الملكية يجب أن تكون الاراضى غير مملوكة لأحد وألا يضر هذا الاحتلال بحقوق الغير ٠ أو بعبارة أخرى يجب ألا تكون تابعة لسيادة أية دولة ٠ وتكون هذه السيادة قد أهملت وتنوزل عنها ٠٠ » (١)

ومن حيث ان مصر بمقتضى معاهدة لندن التى كانت بريطانيا نفسها هى المحرضة الاولى على عقدها والموقعة عليها سنة ١٨٤٠ كانت ولاية عثمانية ذات مركز أو بمعنى أدق كانت مصر متمتعة بشخصية دولية الا أن هذا الاستقلال كان مقيدا بالسيادة العثمانية هذا بالاضافة الى أن الاحتلال كان يضر بحقوق دول أخرى لها مصالح فى مصر ٠

ومن حيث أننا عرفنا أن بريطانيا قد أعلنت عند مجيئها سنة ١٨٨٢ أنها لم تحضر الى مصر آلا لاعادة السلطة الى الخديو ، فلذلك كله ينتفى عن القوات المحتلة صفة الفتح الذى يخول صاحبه حق احتلال البلد المفتوح ٠

ويزيد من عدم شرعية ذلك الاحتلال أنه لم يكن ثمة نزول لبريطانيا عن مصر سواء من جانب السلطان أو من جانب سكانها الذين شهد لهم التاريخ بروعة مقاومتهم لقوات الاحتلال ٠

وعلى ذلك فقرارات معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ كما يقول الاستاذ دى سبانيه فى كتابه « القانون الدولى العام » : « لا تزال مستمرة الوجود دائما ، كما أن الاحتلال الانجليزى لا يمكن أن تكون له غير الصفة الوقتية بالرغم من جميع المحاولات التى تستعمل لجعله نهائيا » ٠

(١) الدكتور عبدالعزيز رفاعى « قضية الجلاء عن مصر » .

ونتيجة للتيارات السياسية المتعارضة فى ذلك الوقت لم يهدأللدول الاوربية نفس وهى ترى الاحتلال الانجليزى لمصر يهدد مصالحها ويكفل لبريطانيا مركزا ممتازا فى مصر ٠

فقامت قيامة تلك الدول وطالبت باجلاء بريطانيا من مصر وكانت فرنسا تتزعم تلك الدعوة التى كانت فىحقيقتها وسيلة لاسترداد النفوذ٠

أما دعوى الجلاء بالنسبة للمصريين فقامت مستندة على أساس استرداد الحق المسلوب كما أن الجلاء بالنسبة اليهم كان بمثابة كرامة واستقلال ٠

هذا من ناحية أما اتجاهات بريطانيا من مسألة الجلاء فلم تكنواضحة ولا ثابتة على مبدأ معين ، اذ نجد أن بريطانيا منذ احتلالها مصر تعلنوتكرر عزمها على الجلاء عن وادى النيل حتى ان جلادستون رئيس وزراء بريطانيا قد صرح فى مجلس العموم بأن الجنود البريطانيين لن يبقوا يوما واحدا أكثر مما تقتضيه الضرورة ، وفى ٩ من أغسطس سنة ١٨٨٣ ألقى بيانا جاء فيه : « اننا نشعر جيدا كذلك بأن احتلالنا الطويل الذى يجاوز الحدود ينتهى بالامر بالضم ، ولذلك سنهدف الى الحرص جيدا على ألا يصطبغ احتلالنا لمصر بصبغة الدوام على الرغم منا » ٠

على أن الانجليز كانوا يصدرون تلك التصريحات لتهدئة الدول الاوربية فحسب أما فى حقيقة أمرهم فانهم كانوا يسعون الى صبغالاحتلال بصفة الدوام ، فنجد « لورد كرومر » يقول فى تقريره عن حالة مصر :

« لم أكن من المناصرين لمبدأ احتلال بريطانيا لمصر ولو تبين لى فى هذه اللحظة أن الجلاء عن مصر لا يعتبر اجراء يترتب عليه تعريض مصر لاخطار يتعين علىكل حكومة صالحة تجنبها ماترددت فى الاشارة على حكومتى باتمام الجلاء ٠ ولكننى مقتنع بأن فى الجلاء عن مصر ما يعرضها لاخطار جدية ولذلك أرانى عاجزا عن أن أوصى بهذا الجلاء » ٠

ويقول الاستاذ محمد على الغتيت : « وهكذا ابتدع لورد كرومر نغمة جديدة تقول بأن الجلاء قبل الاوان من شأنه أن يبدد النتائج الطيبة التى حصلت عليها مصر فى ظل الاشراف البريطانى على شئونها » ٠

والحقيقة أن بريطانيا كانت تعيش فى دوامةعنيفة منالتردد والقلق على مركزها الحرج فى مصر ٠ هذا المركز الذى لا يسنده حق ولا يملك مسوغا قانونيا بل كان محوطا بكراهية وحقد ومؤامرات دول أوربية أخرى ٠

وأعظم ما يدل على تردد السياسة البريطانية فى تلك الايام أن جلادستون كان وهو خارج الحكم « يرى أن مصير الشعوب لا يفصل فيه

بالقوة » وعارض فى الرقابة الثنائية على مصر ·· « وبكلمة عامة يتعين على وزارة المحافظين سياستها العاملة على التوسع والقهر والسيطرة على مصر، فهو كما يدعى كاره للمغامرة المصرية ووزارته هى التى أقدمت على ضرب الاسكندرية وأرسلت الجيوش الى مصر لاحتلالها ومبادئه القومية الخيالية تجعله لايرى حقا للانجليز فى البقاء فى مصر » . (١)

وهناك فريق ثان من الانجليز كان لا يرى ولا يهضم « فكرة الجلاء المباشر » وهؤلاء هم فريق الامبرياليين الاستعماريين ، وكانوا يرون تعزيز مركز بلادهم فى مصر ، وكان يدفع هذا الفريق الى تعضيد فكرة البقاء فى مصر المنافسة التجارية الفرنسية والألمانية لانجلترا ، وهكذا سيطر الروح الاستعمارى على بريطانيا ونادى أحد البريطانيين « بأن مسألة مصر لاتحل الا باستقالة الخديو واحتلال بريطانيا ، وانى موقن بأنه يجب الحصول على مصر مثلما تجب المحافظة على الهند » (٢) .

وكان هناك فريق يرى بقاء القوات البريطانية فى مصرحتى يكون فى ذلك ضمان لمصالح بريطانيا وحتى تكفل هـــذه القوات لانجلترا التفوق السياسى الدائم على ضفاف النيل · أما الفريق الثالث فكان يرى «أن تسير الضروريات السياسية خطة انجلترا فى الحاضر والمستقبل فتعمل على حفظ توازن القوى فى البحر المتوسط » (٣)

وفريق رابع يرى أن تضم مصر نهائيا الى الامبراطورية فتصبح جزءا لا يتجزأ منها ·

على حين نادى الفريق الخامس « بضم محجب وغير مباشر » أما الفريق السادس فكان يرى أن تجلو بريطانيا بعد أن تحتفظ لنفسها بحق العودة الى مصر · عند الضرورة والاقتضاء ·· الخ ·

والحقيقة أن هناك اختلافا فى الآراء فى أمر تقرير مصير مصر · الا أن جلادستون استقر رأيه على بقاء الاحتلال فى مصر مع بقـــاء السيادة الاستعمارية على مصر ·

كذلك نجد أن لورد سالسبورى كان يدفع عن بريطانيا ما وجه اليها بخصوص عزمها على ضم مصر للامبراطورية ·

(١) الدكتور محمد مصطفى صفوت « احتلال البريطانى لمصر » .

(٢) محمد على الغتيت « الشرق والغـرب من الحروب الصليبية حتى حـرب السويس » .

(٣) محمد مصطفى صفوت « الاحتلال البريطانى لمصر وموقف الدول الكبرى منه » .

ومع ذلك ظلت بريطانيا تتردد بين البقاء والجلاء ولكن فكرة الجلاء أخذت تضعف فى انجلترا وخاصـــة بعد أن نجح كرومر بطرقه الملتوية الماكرة فى علاج المشكلة المالية فثبت عزم انجلترا على البقاء فى مصر ٠

واتجه الاحتلال نحو الاستقرار وتحقيق المركز الممتاز . وبدأت بريطانيا فى تنفيذ سياستها فى مصر والشرق ٠

غير أن انجلترا سرعان ما اصطدمت بعقبة قوية لم تستطع بريطانيا تحطيمها برغم عنف ما استخدمته من وسائل فى القضاء عليها ٠

وكانت تلك العقبة هى الحركة القومية ، هذه الحركة التى لم تخمد لها جذوة طيلة عهد الاحتلال ، وقد أخذت تلك الحركة فى الازدياد والنمو مع الايام حتى تم لها النصر على نحو ما سنرى فى الباب التالى :

الباب الثالث

بعث الحركة القومية في مصر

الفصل الأول

الحركة القومية في مصر (١٨٨٢ — ١٩١٤)

ويقول السيد الرئيس جمال عبدالناصر عن هذه الحركةالوطنية:

« ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تكد تخفت حتىانطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل ، وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصائب والمصاعب .

« لقد سكت أحمد عرابى ، لكن صوت مصطفى كامل بدأ يجلجل فى آفاق مصر .

« ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه انها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثا فى أعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد .

« لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بأن تكون مصر للمصريين .

« وارتفع صوت قاسم أمين ينادى بتحرير المرأة » (١)

معنى هذا خلود شعلة الثورة على أرض الوادى . فبرغم بطش الاستعمار الذى كان يسند الخديو وبرغم مواصلة سياسة القهر والاستغلال التى تعرض لها الشعب المصرى استطاع هذا الشعب ان يختزن طاقاته الثورية وأن يدفع بها الى خضم المعركة ضد الاحتلال . اذ لم يكن من المعقول أن تصير الحركة القومية والوطنية فى مصر الى العدم بعد طعن انتفاضة الشعب وهزيمة عرابى .

« وتجلت هذه الحركة فى صورة ضعيفة أول عهد الاحتلال ، ثم أخذت الحركة تشتد وتنمو يباركها الحق الذى تستند اليه ، ومواصلة النضال الباسل للشعب المجيد . وسبق لنا أن عرفنا أن العنصر

(١) الميثاق الوطنى .

القومى قد بدأ بالسيد عمر مكرم ايام محمد على ، وظل هـذا العنصر ينتشر فى أوصال البلاد وتتفتح أزهاره وثماره على ضفاف الوادى ، ذلك العنصر القومى هو الذى تمثله المدرسة الفكرية التى بدأها جمال الدين الافغانى والشيخ محمـــد عبده وانضم اليهما قاسم أمين وسعد زغلول . « ونمت فى أعقاب القرن الماضى تلك الفئة المثقفة التى مثلت فى مصر الدور الذى قامت به الطبقة الوسـطى المسـتنيرة فى انجلترا وفرنسا ؛ فكانوا هم رسل الحياة الاوربية فى مصر ودرس الكثير منهم القانون فى فرنسا وتأثر الكثير منهم بالدراسات الفرنسية التى زخرت بها كتب الفلسفة والقانون . فكان من هؤلاء زعماء الفكر فى مصر ، بل لقد كان منهم الزعيم السـياسى مصطفى كامل ، تلك هى الفئـة التى حملت الثقافة القـومية الأولى فى هـذه الفترة الدقيقة من تاريخنـا الحديث . وكان هانوتو ورينان ودون داركو يكتبون من ناحية الغرب وكان جمال الدين ومحمد عبده وقاسم أمين يردون من ناحية الشرق »

« والحق ان هذا الكفاح الذى قام بين الشرق والغرب كان مفيدا للحياة المصرية بوجه عام ، ذلك ان قوما مثل محمد عبده وقاسم أمين قد أدركوا فى دفاعهم عن مبادىء الاسلام ان فى المجتمع المصرى كثيرا من المثالب التى ينبغى اصلاحها » (١)

وبالفعل قام كل منهما يكتب عن الحياة المصرية واصلاحها وسبل تلك الاصلاحات الممكن اتخاذها ، فألف قاسم امين كتابيه « تحـرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ينقد فيهما المفاسد التى تعشش فى مجتمعنا ، وابان أن الدين ليس مسئولا مطلقا عن جهل المرأة .

كانت تلك هى المدرسة المثقفة التى أقبلت على الاصلاح بلهفـة المؤمنين بالمثل العليا وهى نفسها المدرسة التى تخـرج منها زعيمنـا الشاب مصطفى كامل .

أن « مصطفى كامل » كان أحد طاقات تلك المدرسة العظيمة التى تدفقت منها الأفكار الحرة ، والمثل العليا المؤمنة بضرورة الثـورة على أوضاعنا الفاسدة .

وبينما كان الامام محمد عبده يهاجم الاسـتعمار ويكافحه توفى توفيق وخلفه على عرش مصر ابنه الأكبر الخديو عباس الثانى فى ٧ من يناير سنة ١٨٩٢ ، وفى عهده نشطت الحركة القومية على اثر ما كان ينشر فى الصحف ، وظهرت الحركة الوطنية متحمسة قوية تطالب بكيان سياسى مستقل لمصر ، أى أنها حركة استقلالية ودستورية معا .

(١) أحمد خاكى « فلسفة القومية » .

وفى تلك الأيام ظهر فى سماء مصر ضياء عظيم ، وكان مبعث هذا النور ظهور كوكب وطنى قوى بعث الحياة والأمل فى نفوس المصريين الذين كانوا قد بدءوا يستسلمون لليأس من قضية الوطن .

ظهر مصطفى كامل ، هذه الروح القومية، فكان بمثابة تبلور عظيم لما يمكن أن تقوم به الطبقة المثقفة المؤمنة بحق الوطن فى الحياة الحرة الكريمة .

وتزعم مصطفى كامل هذه الحركة الوطنية القوية ، وبرز الحزب الوطنى على مسرح الحياة السياسية فى مصر ، ووجد مصطفى كامل ان هناك ثلاث قوى رئيسية متباينة يمكن أن يسخرها فى خدمةالقضية الوطنية ، وكانت تلك القوى المتباينة هى تركيا ، وعباس الثانى الذى كان يظهر العطف على الحركة الوطنية ، وفرنسا .

وبدأ مصطفى كامل يدافع عن قضية الوادى ، وبدأ صوته يجلجل فى آفاق مصر والخارج ، الا انه فى سنة ١٩٠٤ صدم فيما كان يبنيه من آمال على مساعدة فرنسا له فى كفاحه ضد الانجليز . فلقد تم فى تلك السنة (الاتفاق الودى) بين انجلترا وفرنسا الذى بمقتضاه قسم الوطن العربى الى مناطق نفوذ بين الدولتين الاستعماريتين . الا أنه لم يتزعزع عن عقيدته وكفاحه، بل تحفز لذلك الموقف الاستعمارى وهاجم هذه السياسة الدولية الاستعمارية .

وفى سنة ١٩٠٦ وقع حادث دنشواى المروع ، فقام مصطفى كامل وندد بالسياسة الوحشية البريطانية ، وجعل يوم التنفيذ فى الأبرياء المتهمين زورا من « أيام التناهى فى الهمجية والوحشية » ويقول الدكتور محمد مصطفى صفوت « وكان من نتائج دنشواى بلا ريب زيادة قوة الحركة الوطنية وتعديل سياسة الاحتلال الى حد ما » (١)

وكانت دنشواى هى التى هزت الاحتلال ، وكتب مصطفى كامل فى جريدة الأهرام مقالا بعنوان « حديث ذو شجون » ختمه مؤكدا « أن فى مصر رجالا ينصرونها ما دام فى حياتهم دماء ، ولربما أحيا فرد أمة بأسرها ، ومصر غنية فى رجالها مباركة فى أبنائها »

والآن ألا يمكن أن نقول : ان « مصطفى كامل » كان يقرأ ما يخبئه القدر لمصر ؟ . ألم نلحظ من حديثه أن هناك فردا يمكن أن يحيى امة ؟ وأكد غنى مصر برجالها ، أو لم يأت هـذا البطل المنقذ الى مصر فى يوليو سنة ١٩٥٢ لينقذ مصر ويحييها ؟ حقا لقد تكهن مصطفى كامل وصدقت تكهناته .. وظهر جمال عبد الناصر ، عملاق بنى مر

(١) « الاحتلال البريطانى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه »

وسقطت حضارة انجلترا فى مذبحة دنشواى .

وسبق لنا القول بأن « مصطفى كامل » حاول الافادة من عباس الذى كان يظهر العطف على الحركة الوطنية فى مصر .. الا أن « عباس » غير من موقفه هذا عندما تودد اليه غورست معتمد بريطانيا فى مصر .

كذلك فطن مصطفى كامل الى انه لن يستطيع أن يعتمد على تركيا ، اذ أن السلطان ظهر بمظهر العاجز عن مناوأة الانجليز ، فقرر الزعيم مصطفى كامل « أن يستقل بالدعوة الوطنية ، ويوجه البلاد دون الاستناد الى الخديو وذلك عن طريق البعث والبناء الوطنى والكشف عن حقيقة الاحتلال الذى استقر بفضل ما اتبعه من خطة الغموض ، وذلك بشتى الوسائل التى كان أخصها الخطابة والصحافة » (١)

وبلور مصطفى كامل مطالب الامة فى أمرين هما : الجلاء والدستور . وكانت دعوة (الحزب الوطنى) تتلخص فى « أنه لمصر عدو واحد وهو الاحتلال ولمصر مقصد واحد وهو الجلاء وما عدا ذلك فتفصيل له وقته . ولا ينبغى مطلقا أن يطغى على المقصد الاساسى وهو الجلاء أو تضعف من مقاومة العدو الأصلى « الانجليز » (٢) .

وكانت وسيلة الكفاح التى اتخذها مصطفى كامل تتلخص فى نشر دعوته عن طريق الخطابة والمقالات فى الصحف والمجلات المصرية والاجنبية والدعاية لقضية الوطن فى الخارج عن طريق نشر مساوى الاحتلال ووعود انجلترا وعهودها التى لم تحاول تنفيذها بالجلاء عن مصر .

واثمرت جهود مصطفى كامل فى جمع شمل المصريين حول اهداف مصر الوطنية المحدودة وأزعج ذلك الانجليز فقابلوه باضطهاد صحافة الحزب ورجاله فقدم الشيخ عبدالعزيز جاويش رئيس تحرير اللواء لسان حال الحزب للمحاكمة مرتين وقيدت حرية الصحافة .

وبينما كانت نداءات مصطفى كامل تنساب لحنا ثوريا يحيى النفوس والقلوب الحرة فى مصر كان الاستعمار البريطانى يكاد يختنق من شدة الحملات التى شنها مصطفى كامل والحزب الوطنى ضده فى مصر والخارج .

ولكن فجأة مرض مصطفى كامل ولم يدم به المرض طويلا وانتقل الى رحمة الله فى ١٠ من فبراير سنة ١٩٠٨ وهو فى ريعان شبابه تاركا الحركة الوطنية يشتد أوارها بعد أن أشعل جذوتها .

---

(١) الدكتور عبدالعزيز رفاعى « قضية الجلاء عن مصر » .

(٢) الدكتور محمد انيس وآخرون « المقاومة الشعبية فى الشرق » .

ولم يفت فى عضد الحركة الوطنية وقع وفاة مصطفى كامل فلقد حمل راية الكفاح بعده الفدائى الأول محمد فريد .

وتعرض محمد فريد لكثير من اضطهاد الانجليز ، ثم حوكم فى سنة ١٩١١ وصدر الحكم بحبسه ٦ أشهر ، وفى سنة ١٩١٢ قدم مرة أخرى للمحاكمة ، فهاجر الى الخارج عازما على مواصلة الكفاح لرفع صوت مصر فى الخارج ، ومات فريد فى الخارج بعيدا عن وطنه .

وكان من نتائج التقدم الذى أحرزه الكفاح الوطنى أن أدخلت بعض التعديلات على نظام الحكم أهمها علنية مجلس الشورى والجمعية العمومية وتعديل نظام مجالس المديريات وحق سؤال الوزارة فى مجلس الشورى .

وفجأة أعلنت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ التى استمرت الى سنة ١٩١٨ وانتهت بصلح فرساى سنة ١٩١٩ .

والحق أن تلك النداءات الثورية التى سبقت قيام الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل بالاضافة الى ما حققه الحزب الوطنى من جمع شمل الأمة فى مواجهة المحتلين وكشف الاستعمار « كانت تلك كلها مقدمة موجة ثورية جديدة ما لبثت أن تفجرت سنة ١٩١٩ »

الفصل الثانى

ثورة الشعب سنة ١٩١٩

وقبل ان ندخل فى تفاصيل هذه الثورة الوطنية نرجو القارىء أن يعود معنا قليلا الى سنة ١٩١٤ لنرى كيف استغلت بريطانيا ظروف الحرب العالمية الاولى لكى تخدم اغراضها الاستعمارية فى مصر ، فأعلنت حمايتها عليها حين دخلت بريطانيا الحرب العظمى فى ٤ من أغسطس سنة ١٩١٤ الى جانب حلفائها ضد المانيا وحلفائها .

وضغط المندوب السامى البريطانى على الحكومة المصرية حتى اجبرها على اعلان قطع علاقاتها المالية والتجارية مع أعداء بريطانيا .

وفى اليوم السادس من نوفمبر سنة ١٩١٤ أصبحت الدولة العثمانية عدوا لبريطانيا اذ دخلت الحرب الى جانب المانيا ضد بريطانيا وحلفائها ، ولم يمض أكثر من اثنى عشر يوما حتى اعلنت بريطانيا حمايتها على مصر ، وكان ذلك يوم ١٨ من ديسمبر ١٩١٤ .

وقد جاء فى البيان البريطانى باعلان الحماية ما يلى :

« ان وزير خارجية ملك بريطانيا يعلن أنه نظرا لحالة الحرب الناشئة عن عمل تركيا فقد وضعت مصر تحت حماية صاحب الجلالة وسوف تصبح من الآن فصاعدا تحت الحماية البريطانية ، وبذلك انتهت سيادة تركيا على مصر ، وسوف تتخذ حكومة جلالة الملك جميع الاجراءات الضرورية للدفاع عن مصر وحماية سكانها ومصالحها » .

وعزلت بريطانيا الخديو « عباس » وفى اليوم التالى لذلك ولت بدله الامير « حسين كامل » ومنحته لقب سلطان مصر وكان ذلك فى ١٩ من ديسمبر سنة ١٩١٤ .

وطوال مدة الحرب تحمل المصريون كثيرا من صنوف التضحيات والمتاعب ويقول الاستاذ محمد على الفتيت : « فرضت بريطانيا على مصر ان تقدم العمال لخدمة مؤخرة الجيوش البريطانية فى الشرق حتى لقد بلغ عدد المصريين «بالسلطة» مليونا ومائتى الف عامل مصرى وذلك

عدا ما كانت تستولى عليه «السلطة» والحلفاء من محصولات البلاد وأقواتها لتموين الجنود فى ميادين القتال ، على أن ذلك كله لا يقاس بما انتفع به البريطانيون وحلفاؤهم فى الحرب من المزايا الاستراتيجية التى أقيمت لهم فى مصر واستخدامها قاعدة لعملياتهم الحربية ضد الدولة العثمانية . كذلك أفادت بريطانيا من الوجهة المالية بأن فصلت الجنيه المصرى عن قاعدة الذهب وربطته بالجنيه الاسترلينى لتحصل بذلك على كل ما تشاء من العملة المصرية دون ان تودع ما يقابلها من الذهب ، وبهذا ايضا مهدت « لمشكلة الارصدة الاسترلينية » . وهلك مئات الآلاف من المصريين وهم يعملون فى الخدمات الحربية للبريطانيين وحلفائهم » .

وتحمل المصريون هذه المصاعب والتضحيات على مضض، وعاشوا على أمل أن تفى انجلترا وفرنسا بما وعدتا به من تحرير الشعوب التى كانت خاضعة للدولة العثمانية اذ ذاك .

ثم وضعت الحرب أوزارها ووقعت الهدنة بين المتحاربين فى يوم ١١ من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وتقدم قائد الحركة الوطنيـــة فى مصر الى « سير ريجنالد وينجت » معتمد بريطانيا ومندوبها السامى فى مصر ، ووجهوا اليـه فى ١٣ من نوفمبر سـنة ١٩١٨ المطالب الوطنيـة التى تتلخص فيما يلى :

١ ــ الغاء الحماية البريطانية عن مصر .

٢ ــ الاعتراف باستقلال مصر .

وكذلك قام رشدى (باشا) رئيس وزراء مصر وقتئذ فى الوقت نفسه هو وزميله عدلى يكن بمطالبة انجلترا رسميا بالاعتراف باستقلال البلاد .

وفى ٣ من ديسمبر سنة ١٩١٨ طلب سـعد زغلول أن يصرح له ولثلاثة من زملائه من أعضـاء الوفد الذى وكلتـه الأمـة على مختلف طبقاتها للمطالبة باستقلال مصر بالسفر الى لندن لعرض قضية استقلال البلاد .

غير أن الحكومة البريطانية لم تستجب الى مطالب الأمة ، بل لقد عومل أعضاء الوفد معاملة قاسية وغير كريمة من جانب المندوب السامى البريطانى فى مصر .

وهكذا أثبتت السياسة البريطانية الاسـتعمارية عكس ما كانت تدعيه للعالم من أن الحماية على مصر لن تستمر طويلا بعد الحرب .

والغريب أن السلطات البريطانية كانت تطلب الى الوفد المصرى أن يبدى اقتراحات مكتوبة بصدد ادارة مصر على شرط أن تكون تلك الاقتراحات فى نطاق الحماية المفروضة على مصر !

ثم ارسل الوفد فى ١١ من يناير سنة ١٩١٩ الى مسيو (كليمنصو) رئيس مؤتمر الصلح برقية استنجد فيها بالمؤتمر من أجل أن يسمح له بعرض وجهة نظر مصر ورغبتها فى تقرير مصيرها ، وقالت البرقية :

« ان تقرير مصير شعب دون أن تسمع أقواله ودون أن يبدى رغبته يعتبر أمرا مناقضا لما اتفق عليه الحلفاء ذاتهم فى هذا الشأن » .

وظل الوفد يرسل احتجاجاته الى كل الهيئات والى جميع الجهات الى أن سمح لاعضائه بالسفر الى باريس ، ولكن لم يسمح لهم بعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح هناك برغم ان مصر كانت تملك الاسباب القانونية لبطلان الاحتلال الممثل فى الحماية البريطانية ، كما ان مصر كانت تستند الى تعهدات بريطانيا المتكررة التى اعترفت فيها بريطانيا بحق مصر فى الحرية والاستقلال ، وأن وجود القوات البريطانية موقوت !.

ومن أمثلة وعود انجلترا المتكررة فى هذا الشأن ما قاله اللورد دوفرلين فى ١٩ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ :

١ — « لقد قلت لكل من سألنى رأيى فى المسألة المصرية . اننا ليست لنا أدنى رغبة فى الاحتفاظ بالسلطة التى آلت الينا بهذه الطريقة، لقد كانت نيتنا ان تكون علاقتنا بالمصريين بحيث تجعلهم يعدوننا بطبيعة الحال خير أصدقائهم ونصحائهم ، ولكننا لم نقرر فى سبيل ذلك أن ننزلهم على آرائنا أو نحجر عليهم حجرا يستثير حفائظهم » .

ثم صرح اللورد جرانفل فى ٢٩ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ بقوله :

٢ — « يجب أن تبلغ الحكومة المصرية ان رغبة حكومة جلالة الملكة هى أن تسحب الجنود من مصر متى سمحت الاحوال بذلك، وان هذا السحب قد يكون على دفعات مختلفة الزمن وفق ما تسمح به سلامة البلاد وان حكومة جلالة الملكة ترجو أن يكون بقاء كل القوة الحاضرة قصيرا جدا » .

٣ — ومن تصريحاتهم ووعودهم الكاذبة ما قاله احد لورداتهم فى ١٦ من يوليو سنة ١٨٨٤ : « ان حكومة جلالة الملكة تريد أن يكون سحب الجنود فى أول عام ١٨٨٨ بشرط أن ترى الدول الاوربية اذ ذاك انه لا يخشى من هذا العمل على السلم والنظام » .

٤ ـ وفى مجلس اللوردات قام احـد اللوردات وصرح بأنه « لم يبرح أذهاننـا من أول الأمر ان يكون احتلالنـا مصر مؤقتا غير بعيـد الاجل . نحن لا نفكر مطلقا فى أن يكون ذلك الاحتـلال مؤبدا ، لقـد عاهدنا هـذا البلد وعاهدنا أوربا على ذلك ، فاذا ما اتبعت سـياسة تخالف هذا العهد فلن تكون لنا يد فيها » .

٥ ـ ونذكر ايضـا تصريحا للورد سالسبرى فى مجلس الاعيـان البريطانى فى ١٠ من يونيه سنة ١٨٨٧ جاء فيه : « لم يكن فى وسعنا أن نبسط حمايتنا على مصر لأن حكومة جـلالة الملكة قد أخـذت على نفسـها العهد غير مرة بألا تفعل ذلك . ومما لا ريب فيـه أن وجـودنا بمصر وهو الأمر الذى لم يعترف به أى اتفاق قد جعل رعايا السلطان يرتابون فى نياتنا ، على أن ذلك ارتياب لا نستحقه »

٦ ـ كذلك نلحظ سياسة انجلترا طويلة المدى بشأن تهدئة الجو حول احتلالها لمصر فى تقرير اللورد كرومر الذى رفعه الى حكومته فى ٣ من مارس سنة ١٩٠٧ الذى جاء فيه : « هناك عقبات لا يمكن التغلب عليها تحول دون بسط الحماية البريطانية على مصر فان تلك الحماية تتضمن تغييرا فى «حال مصر السياسية» وقد أعلنت الحكومة الانجليزية بصريح العبارة فى المادة الأولى من الاتفاق الانجليزى الفرنسى المؤرخ فى ٨ من أبريل سنة ١٩٠٤ انها لا ترغب تغيير حال مصر السياسية » .

٧ ـ وتصريح السـير دراموند وولف المبعـوث البريطانى فوق العادة لدى السلطان العثمانى فى سنة ١٨٨٧ قد أكد فيه للصدر الاعظم حسن نية انجلترا نحو الدولة العلية ومصر قائلا : « ان حكومة جلالة الملكة تكذب كل ما يشاع عن نياتها فى ضم مصر الى ممتلكاتها أو فى فرض الحماية عليها . فمثل هذا العمل يتنافى مع السياسة التقليدية البريطانية، وهو خرق للتعهدات والمواثيق الدوليـة التى تربطها بالسـلطان والتى أخذت على عاتقها احترامها وفى هذا العمل أيضا اعتداء على القـانون الدولى » .

٨ ـ والمنشور الانتخابى الذى أذاعه جلادستون فى سبتمبر سنة ١٨٩٥ جـاء فيـه ما يلى : « يجب على انجلترا ان تنسحب من مصر بمجرد ما يسمح بذلك المشرف البريطانى ونحن لن نقبل بحال مناقشة موضوع ضم مصر أو فرض الحماية عليها أو اطالة امد الاحتلال .

٩ ـ وبعد الاتفاق البريطانى الفرنسى (الاتفاق الودى) سـنة ١٩٠٤ جاء فى صلب هذا الإتفاق ما يأتى : « ان حكومة ملك بريطانيـا تعلن أنه ليس لديها اية نية فى تغيير الوضع السياسى القائم فى مصر »

١٠ـ وعندما أعلنت بريطانيا فى ٢٨ من فبراير سنة ١٩٢٢ تصريحها

المشهور الذى اعترفت فيه بأن « مصر دولة مستقلة ذات سـيادة » كان هذا اعترافا بعدم شرعية الاحتلال .

١١ ـ ومن قراءتنا لمعاهدة سـنة ١٩٣٦ ومن شروطها « النقطة العسكرية » نجد أن هذه المعاهدة تعد اعترافا من انجلترا بأن الاحتلال مؤقت .

ولم تكن هذه الوعود البريطانية هي الوعود الاخيرة لقوات الاحتلال فطالما وعدت بريطانيا فى ظروف سياسية معينة بالجـلاء وبأنها لا تنوى احتلال مصر احتلالا أبديا . ولكن الاحداث المتتالية أثبتت كذب هـذه الوعود وانها لم تكن الا مكرا وخديعة وقد أثبتت الاحـداث ايضـا ان الشرف البريطانى لم يكن الا خرافة » .

وليس ادل على سوء نية الانجليز تجاه مصر منـذ البداية برغم مسالمة المصريين وحسن نياتهم من هذه الكلمة التى قالها أحد الانجليز « سير ستيفن كيف » امام مجلس العمـوم : « لا يزال فى مصر خير ، ولا يزال فيها قوم يريدون ان يجنوا ثمار ما لم يزرعوا ، أولئك أرجو ان يحبط الله اعمالهم وأن يهيىء لهذا البلد الطيب الكريم ولأهله الأوداء المسالمين العاملين أياما خيرا من أيامه السالفة وسعادة أبقى أمدا واقوى دعامة » .

وفى ٩ من مارس سنة ١٩١٩ قبضت السلطة العسكريةالبريطانية على سعد وزملائه ونفتهم الى جزيرة مالطة وما ان ذاع الخبر حتىكان ذلك بمثابة الشرر الذى اوقد أتون الثورة فى أعماق المصريين .

وهكذا قامت ثورة ١٩١٩ فى كل انحاء البلاد « وكأنه قد نفخ فى الصور فهب الشـعب من كل صوب هبة رجل واحد ، وكأنهم كانوا على موعد ، فظهرت وحـدة عناصر الامة فى أشرف صـورة دفاعا عن استقلال البلاد » .

ويقول الدكتور محمد أنيس : « والحق ان الفـكرة المصرية قد استقامت بقيـام ثورة ١٩١٩ وأن الحـركة القـومية قد بلغت نضجها الكامل فقد كانت انتفاضة ١٩١٩ مسـتندة الى الوعى الشـورى أقوى مظاهرة ، فظهرت الوحدة الشعبية المتكاملة بين عناصر الامة علىاختلاف طبقاتهم الاجتماعية ومذاهبهم الشخصية » .

ولما كانت ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ هى احـدى مراحل الكفاح الوطنى فى سـبيل الجلاء فلذا نحن نتناولها الآن بالشرح مبتدئين باسبابها :

فمن الناحية السياسية ترجع الى حالة التذمر التى كان عليهـا

الشعب المصرى من الحالة السياسية التى كان عليها ، وتطلعه الى الحرية والجلاء والاستقلال .

ويقول الاستاذ عبدالرحمن الرافعي : « ظل الشعب المصرى يعانى الاحتلال البريطانى منذ سنة ١٨٨٢ ، وكان الشعب يسمع من الحكومة البريطانية بين حين وآخر وعودا وعهودا بالجلاء عن البلاد ، ولكنه شهد على مر السنين نقض هذه الوعود والعهود وشهد فى الوقت نفسه عدوان الاحتلال على الحكومة الاهلية واغتصابه سلطة الحكم واهداره حقوق البلاد وحريتها واستقلالها ومرافقها العامة » .

وزاد من سخط الشعب أن يرى بريطانيا برغم وعودها وعهودها بالجلاء تعلن حمايتها على مصر .

وعظم سخط الشعب على الاحتلال البريطانى عندما وجد أن سلطات الاحتلال قد تمادت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فى عدوانها على كرامة البلاد وحقوقها وحكومتها الوطنية .

ومن قبل رأينا كيف حاول الوفد المصرى ــ الذى وكلته الأمة للدفاع عن قضيتها والمطالبة بالجلاء ــ مفاوضة الانجليز فى سبيل الجلاء واقرار استقلال البلاد ، ولكن لما فشلت المحاولة السلمية للشعب جنح الى الثورة يعلن بها سخطه على الحماية والاحتلال : فثورة سنة ١٩١٩ اذن ثورة « على الاحتلال والحماية ، وانتفاض على نظام الحكم الذى تفرع عنها وعلى النيات العدائية الغادرة التى بيتتها السياسة الاستعمارية حيال مصر ...

« وهى أيضا ثورة على المظالم التى عاناها الشعب من السلطة العسكرية البريطانية طيلة سنى الحرب » .

وبرغم التضحيات العظيمة التى قدمها الشعب المصرى فى أثناء الحرب ، وكانت تلك التضحيات من أسباب نصر الانجليز والحلفاء فى حربهم مع المانيا وحلفائها فان جزاء المصريين من جنود الاحتلال البريطانى لم يكن الا الاساءة اليهم والمعاملة الشرسة المتغطرسة .

كل ذلك كان بمثابة وقود يزيد نيران الثورة التى كانت كامنة فى نفوس المصريين ضد الاحتلال الاجنبى الذى كان فى ذاته يدعو الى السخط والتبرم .

هذا ويجب الا ننسى فضل التعاليم الثورية التى نشرها الحزب الوطنى بين صفوف الأمة خلال السنوات من سنة ١٨٩٠ حتى سنة ١٩١٩ على ما سبق تفصيله فى غير هذا المكان ، ولقد كان نضال الأمة فى خلال تلك السنوات بمثابة الذخيرة الوطنية المهيئة للثورة . فهى

بحق كما يقول الاستاذ عبدالرحمن الرافعي « فترة تلقت فيها الأمة مبادىء الوطنية الحق وهى الفترة التى بعثت فيها الحركة الوطنية من مرقدها واستعدت الامة فيها للثورة » .

وهكذا كان اعتقال سعد وصحبه فى ٨ من مارس سنة ١٩١٩ يمثل ساعة الصفر فى انطلاق الثورة الشعبية ضد الاحتلال .

أما أسباب الثورة من الوجهة الاقتصادية فهى لم تخرج عن كونها رد الفعل العنيف للمظالم التى وقعت على كاهل الشعب من جراء النظم المالية والاقتصادية التى عانتها البلاد قبل الحرب العظمى وابانها .

أما العامل الاجتماعى الذى مهد للثورة فقد تمثل فى انتشار التعليم وتطور أفكار الأمة واتساع مداركها والنهضة الصحفية والنسوية . مما أدى الى نمو الروح الوطنية التى نادت فى قوة بالاستقلال والتحرر : « وكانت تلك كلها مقدمة موجة ثورية جديدة ما لبثت أن تفجرت سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وبعد خيبة الأمة فى الوعود البراقة التى قطعها ويلسون والتى ما لبث هو نفسه ان تنكر لها واعترف بالحماية البريطانية على مصر » (١) .

اندلاع الثورة :

وفى يوم الاحد ٩ من مارس سنة ١٩١٩ تالى يوم لاعتقال سعد وصحبه اندلعت الثورة وكانت فى أول امرها عبارة عن مظاهرات وطنية سلمية تهتف بالاستقلال وسقوط الحماية والافراج عن الزعماء المعتقلين .

ولما استمرت تلك المظاهرات تصدت لها السلطة العسكرية الانجليزية فأطلقت الرصاص على الوطنيين وسالت الدماء فى الشوارع، ولكن لم يتراجع المتظاهرون وامتدت الحركة الى ارجاء البلاد كافة واستهدفت الجماهير للقتل فكانت وقود الثورة .

وفى راى استاذنا الرافعى ان ثورة سنة ١٩١٩ حينما عمت ارجاء البلاد لم تكن نتيجة اى تدبير أو تنظيم ، لم تكن ثمة هيئة او جماعة تدعو اليها أو توجهها بل شملت البلاد فجأة وعلى غير انتظار .

وكان ذلك من مظاهر جلالها وروعتها وظهر فيها فضل الشعب. اذ ادرك بفطرته السليمة أن الحركة الوطنية انما قامت ضد الاحتلال الاجنبى وكان مقصودا فيها بداهة جلاء الاحتلال عن البلاد وأن الاستقلال الصحيح لا يتحقق الا بالجلاء » ويستخلص الاستاذ الرافعى من ذلك:

(١) الميثاق الوطنى .

« ان برنامج الثورة كان أوسع مدى من برنامج الوفد ، ولم تكن الثورة وليدة الوفد ولا وليدة سعد ، بل كان كلاهما وليد الثورة » .

ولقد استمرت حوادث الثورة حتى نوفمبر سنة ١٩١٩ ولم تنقطع وقائعها السياسية الا فى شهر أبريل من عام ١٩٢١ اى ان الثورة ظلت مندلعة اكثر من سنتين .

ومن صور الثورة التى عمت الجماهير فى كفاحها ونضالها ابان ثورة سنة ١٩١٩ نذكر ان الشعب لم ترهبه القوات البريطانية الفاشمة ولا نيرانها التى كانت تطلق دون حساب ، فنجد الشعب المصرى قد هاجم الجنود البريطانيين فى الشوارع والطرقات وقام الثوار بقطع خطوط السكك الحديدية واسلاك التلغراف، وقام الشعب أيضا بحرق مخازن القوات البريطانية فى جميع ارجاء القطر المصرى ، فان الاحداث التى كانت تجرى فى القاهرة كان لها صداها فى قلب الصعيد فى أقصى الجنوب ، وفى اقصى الشمال ، ومن فرط الرعب الذى أصاب قوات الاحتلال نجد الانجليز قد استعملوا طائراتهم ضد الشعب وضربه بقنابلها .

وكانت الامة كلها رجلا واحدا فى ثورتها ضد الاحتلال .

ولكن ما لبثت الثورة ان واجهت عدة صدمات من صنع الاستعمار حتى ان الرئيس ويلسون صاحب المبادىء الاربعة عشر الشهيرة قد اعترف بالحماية البريطانية على مصر فى أبريل سنة ١٩١٩ كما أقر مؤتمر الصلح فى فرساى بالحماية البريطانية على مصر فى مايو سنة ١٩١٩ ونص على الحماية فى معاهدة الصلح التى وقعت فى ٢٨ من يونيو سنة ١٩١٩ .

وهكذا استطاعت بريطانيا بسياسة الحديد والنار ، ثم بسياسة المؤامرات والدسائس الدولية أن تسيطر على الموقف فى مصر .

وقد عينت بريطانيا اللورد اللنبى مندوبا ساميا لها بمصر ، وقد أشار هذا على حكومته باطلاق سراح الزعماء الاربعة . « وذلك بسبب ما رآه من أن حركة البلاد جدية وأن الجبهة الوطنية قوية وسليمة »

ثم أرسلت بريطانيا لجنة «ملنر» الى مصر فى ديسمبر سنة ١٩١٩ فقاطعها المصريون مما اضطر بريطانيا الى دعوة الوفد المصرى للمفاوضة معها الا ان مصير تلك المفاوضات انتهى الى الفشل .

وفى ذلك الوقت اصاب الجبهة الوطنية تصدع خطير فوقع بين زعماء الجبهة الخلاف ودب بينهم الشقاق ، وكان ذلك فى ابريل سنة ١٩٢١ ، ومن ثم انحرفت ثورة سنة ١٩١٩ عن أهدافها الوطنية .

وقامت بريطانيا فى ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩٢١ بنفى سعد زغلول

الى جزيرة سيشل ، وظلت الحال السياسية فى البلاد مضطربة غير مستقرة الى أن تمت المفاوضات بين اللورد اللنبى وعبدالخالق ثروت « واستقر رأيهما على حل ارتضاه اللنبى » .

وعن انحراف الثورة فى سنة ١٩١٩ يقول الرئيس جمال عبدالناصر فى مجلس الامة سنة ١٩٥٧ : « وكان الحصار حول الشعب محكما لدرجة انه لما ثار سنة ١٩١٩ لم تلبث الثورة الا قليلا حتى ثارت على نفسها ، وانحرفت وتفتتت وحدتها وتناثرت شظايا متفرقة تصيب الشعب بجراح جديدة فوق ما كان يقاسيه من جراح .

وكان الاستعمار من وراء هذا كله راضيا سعيدا »

***

انتهاء الحماية على مصر :

وفى فبراير سنة ١٩٢٢ اعلن أن الحماية على مصر قد انتهت وأن مصر حكومة مستقلة ذات سيادة مع احتفاظ بريطانيا بنقاط اربع التحفظات الاربعة) (١) .

وكان من أهم ما نتج عن هذا التصريح ان تكونت الاحزاب فى البلاد ثم انه وضع القوة الشعبية وجها لوجه أمام القصر أى أن مجهودات الوطنيين قد وزعت بين كفاحهم ضد القصر من ناحية وضد الانجليز من ناحية اخرى ، ومن ثم نجد أن الصراع الحزبى العنيف هو الطابع المميز للفترة ما بين (١٩٢٤ و ١٩٣٦) وبعد هذا التصريح تألفت وزارة ثروت وتألفت لجنة الثلاثين من كبار رجال القانون برياسة حسين رشدى لوضع دستور البلاد .

فؤاد ضد الدستور :

ورفعت اللجنة مشروع الدستور الى ثروت فى يوم السبت ٢١ من اكتوبر سنة ١٩٢٢ ولكن الملك « فؤاد » لم يكن يميل الى صدور الدستور لانه كان يرى فى الدستور قيدا على حقوقه « وانتقاصا لسلطانه » .

(١) اضطرت انجلترا الى اصدار ذلك التصريح من جانبها واحتفظت بالنقط الاربع التالية لمباحثات مقبلة : (١) تأمين المواصلات البريطانية فى مصر (٢) الدفاع عن مصر ضد اى اعتداء أو تدخل اجنبى مباشر أو غير مباشر . (٣) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الاقليات ، (٤) السودان .

ولم تقبل البلاد هذا التصريح فقابلته بالاحتجاج الشديد وخاصة على ما ورد فيه من تحفظات . كما أن هذا التصريح لم يتضمن جلاء الاحتلال لذا استمر كفاح الشعب ولم يهدأ .

وهكذا لم ينجح واضعو ذلك الدستور فى تقييد سلطة الملك فى اقرار وتدعيم مسئولية الوزارة أمام نواب الامة ، ومن هنا كانت الوزارات تلجأ الى حل المجلس متى جرؤ على معارضة سياستها ، كما أصبحت الوزارات تحت رحمة السلطات البريطانية فى المقام الأول والملك ثانيا.

وحدث أن وقع حادث الاعتداء على سردار الجيش المصرى (السير لى ستاك) وتقدمت بريطانيا بعدة مطالب تعسفية منها سحب الجيش المصرى من السودان وأن تدفع مصر غرامة مالية كبيرة فاستقالت الوزارة التى كانت تحكم فى ذلك الوقت .

وكان يميز هذه الفترة تعطيل الحياة النيابية والدستورية مرارا.

وهكذا كانت « الديمقراطية بالطريقة التى جرت بها ممارستها فى مصر فى تلك الفترة ملهاة مهينة » .

« ان الشعب لم يصبح صاحب السلطة ، وانما أصبح الشعب اداة فى يد السلطة أو بمعنى أصح ضحية لها .

« ولم تعد أصوات الجماهير هى التى تقرر خط السير الوطنى، وانما أصبحت الجماهير تساق وفقا لارادةالسلطات الحاكمة واصدقائها. ولقد كان ذلك نتيجة طبيعية لاغفال الجانب الاجتماعى من أسباب ثورة الشعب سنة ١٩١٩ .

« ان هذه الازمة العنيفة فتحت أمام سلطات الاسرة المالكة أبوابا جاهد النضال الشعبى طويلا لكى يسدها .

« ولكن انتكاسة الثورة شجعت الأسرة المالكة على تجاوز كل الحدود وفى جو الازمة لم يعد الدستور الذى رضيت به القيادات الثورية منحة من الدخيل الا مجرد قصاصة ورق بهتت عليها الحقوق الشكلية التى كانت قد القيت للشعب ليشغل بها ويتلهى !

« ولقد استسلمت القيادات التى تصدت للنضال الشعبى أمام سلطة القصر المتزايدة بسبب ضعفها المتزايد ، وركعت جميعها تلتمس الرضا الذى يصل بها الى مقاعد الحكم ، وتخلت بذلك عن الشعب ، وأهدرت كل قيمة له ناسية بذلك انها تتخلى طواعية عن مصدر قوتها الوحيدة ومنبعها » (١)

وبتلك الفقرات الخالدة صور لنا الميثاق الوطنى اصابة الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ بتلك الآفة الخطيرة التى قضت على الثورة بالفشل ، ولم تكن هذه الآفة غير زعماء الاحزاب الذين كانوا يعملون من

(١) الميثاق الوطنى .

أجل الوصول الى كراسى الحكم ، بأى ثمن حتى انتكست ثورة الشعب فى سنة ١٩١٩ ، وأصبحت الحرية هى حرية التحكم وحرية السيطرة وحرية الاستبداد وحرية الاستقلال .

ان ذلك يعني بلاشك أن الموجة الثورية التى ارتفعت سنة ١٩١٩ لم تصل الى أهدافها التى قامت من أجلها ، وبمعنى آخر ان ذلك يعنى أن هذه الثورة لم تنجح فى بلوغ أمانيها .

ويقول الميثاق : « ان ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ تستحق الدراسة فان الاسباب التى أدت الى فشلها هى الاسباب التى حركت حوافز الثورة سنة ١٩٥٢ .

« واذن هناك ثلاثة أسباب واضحة أدت الى فشل هذه الثورة ولابد من تقويمها فى هذه المرحلة تقويما أمينا ومنصفا » .

وتتلخص أسباب فشل هذه الثورة فيما يلى :

١ – اغفال القيادات الثورية مطالب التغيير الاجتماعى بسبب الظروف التى جعلت من طبقة ملاك الارض أساسا للاحزاب السياسية التى تصدت لقيادة الثورة . وكانت الدعوة الى تمصير بعض أوجه النشاط المالى هى أقصى ما وصل اليه الجهد فى ذلك الوقت فى حين أن الدعوة الى اعادة توزيع الثروة كانت هى المطلب الحيوى الذى يجب البدء فيه فورا .

٢ – لم تتنبه القيادات الثورية الى أنه ليس هناك صدام اطلاقا بين الوطنية المصرية والقومية العربية والى خطورة وعد بلفور الذى أنشأ اسرائيل لتفصل بين أجزاء الامة العربية ، بل لقد وصل الأمر الى درجة أن بعض جواسيس الاستعمار قاموا بقيادة حركات ثورية عربية ، واقاموا عروشا لمن خانوا النضال العربى .

٣ – ان القيادات الثورية خدعت بما منحه الاستعمار من استقلال أسمى وحرية مزيفة ، وزاد الأمر خطورة أن الحكم الذاتي والدستور انتهيا الى خلاف حول الغنائم مما حول الصراع الحزبى الى موضوع يلهى الناس ويحرق الطاقة الثورية . وجاءت معاهدة سنة ١٩٣٦ تنص على استقلال مصر على حين أنها فى الحقيقة تسلب هذا الاستقلال وتجعل بقاء قوات الاحتلال بقاء شرعيا .

ويقول الاستاذ الرافعى : « على أنه من الحق أن نقر لثورة سنة ١٩١٩ بنتائج سياسية عامة لمصلحة البلاد ، فاليها يرجع الفضل فى الغاء

الحماية وفى اعتراف بريطانيا باستقلال مصر وفى أعلان النظام الدستورى أساسا للحكم فى البلاد سنة ١٩٢٣ » ٠

ونحن نختلف مع أستاذنا الرافعى فيما ذهب اليه فى بعض ما جاء به من تقويم لهذه الثورة ٠

فمن ناحية فضل تلك الثورة فى الغاء الحماية نرى ان التاريخ نفسه يشهد أن الحماية لم تلغ بتصريح ٢٨ فبراير حتى ان الاحتلال ظل برغم ذلك التصريح يمارس فظائعه ومذابحه وفتنه وتدخله فى كل كبيرة وصغيرة من شئون البلاد ٠

أما عن اعتراف انجلترا باستقلال مصر والذى قيل انه كان نتيجة لثورة سنة ١٩١٩ فلقد كان هـذا الاستقلال غير كامل ٠ بل هو خدعة استعمارية ويكفى أن يكون ضمن تصريح ٢٨ فبراير هذا تلك التحفظات الاربعة التى سلبت التصريح قيمته ، بل كانت التحفظات تسلب الاستقلال كل قيمة له وكل معنى ٠

وبخصوص فضل ثورة سـنة ١٩١٩ فى اعلان النظام الدستورى سنة ١٩٢٣ يكفى أن نورد هنا تعليقـا للدكتور السيد صبرى فى هذا الشأن : « وبدأ التدخل منذ وضع الدستور عندما استقالت وزارة نسيم لرفضها حذف المادة التى تقرر لقب الملك على انه « ملك مصر والسودان » وقد قبلت وزارة يحيى ابراهيم التى خلفتها تعديل المـادة على الوضع الآتى : (يعين اللقب الذى يكون لملك مصر بعـد أن يقرر المنـدوبون المفوضون نظام الحكم النهائى للسودان) ٠

« ولما صدر الدسـتور وطبق لم ينقطع تدخل انجلترا فى عرقلة سيره فى المسائل الجوهرية التى تتعارض فيها سياسة الوزارة المؤيدة من البرلمان مع السياسة الانجليزية » ٠

ولقد كان مقتل السردار عـام ١٩٢٤ وما تلاه من احداث من أمثلة التدخل البريطانى فى الاوضاع الدستورية للبلاد وما يستتبع ذلك من عدوان على استقلال مصر وسيادتها ٠

كما كانت اقالة الوزارات الدستورية وتعطيل الدستور ومحاولة الغاء دستور ١٩٢٣ من الأمثلة الكثيرة التى نأتى بها على سبيل المثـال لا الحصر للتدخل الاستعمارى فى شئون البلاد ٠

ويمضى الدكتور السيد صبرى فيقول : « ولا جدال فى أن العامل الأول فى تمكين انجلترا من التدخل فى تطبيق الدسـتور كان مصدره الجالس على العرش الذى يملك حق اقالة الوزارة وحل مجلس النواب »

ولما كان الدستور هو مصدر السيادة الشعبية فان انتظام تطبيقه يستلزم تمتع البلاد باستقلالها التام حتى تمارس هذه السيادة على وجه لا يسمح بأى انتقاص منها أو تعرض لها والا فقدت صفة السيادة فيها • ان استقلال البلاد التام هو الاساس الاول الذى لا بد منه لانتظام الحياة الدستورية السليمة » •

وهكذا نرى أنه حتى بالنسبة للدستور « الذى رضيت به القيادات الثورية منحة من الدخيل لم يكن الا مجرد قصاصة ورق » كما جاء بالميثاق الوطنى •

ويهمنا هنا قبل أن نختم الحديث عن ثورة سنة ١٩١٩ أن نحاول تقويم هذه الثورة ، فمما لا يقبل الشك أن ثورة سنة ١٩١٩ كانت تعبيرا صادقا عن وجدان الامة ورغبتها العارمة فى الاستقلال • وكانت فى الوقت نفسه نتيجة حتمية لمرحلة القيادة الفكرية التى عاشتها الامة منذ أوائل القرن العشرين والتى تبلورت فيها حماسة مصطفى كامل وتعاليم محمد عبده ولطفى السيد وعلى يوسف وقاسم أمين وفتحى زغلول وغيرهم ، وكانت نتيجة أيضا لفترة الحرب العالمية الاولى التى عاشها الشعب العربى فى مصر على أعصابه متحملا اعلان الحماية ومنتظرا تحقيق الوعود والعهود البريطانية فى الجلاء والوعود الامريكية فى الحرية وتقرير المصير ، وكانت ثورة سنة ١٩١٩ نتيجة لكل ذلك ولم يكن نفى سعد زغلول وصحبه الا الشرارة التى جعلت المرجل ينفجر •

أما عما حققته الثورة والذى ناقشناه منذ قليل فلا شك ان الثورة حققت الكثير ، ويكفى أنها كشفت للعالم أجمع عن روح هذا الشعب المطالب بالحرية حتى عرف العالم كله كذب ما كان يشيع من ميل هذا الشعب الى الاستكانة والاستسلام ، فكانت الثورة فرصة للجماهير المتعطشة للحرية أن تنفس عن مشاعرها المكبوتة وأن تثأر لعرابى ممن خانوه وأن تنتقم لمصطفى كامل وللفدائى الاول محمد فريد ولشهداء الحرية فى دنشواى وغيرهم من شهداء الحرية فى مصر •

واذا كان بعض الباحثين يرى أن لهذه الثورة آثارا ايجابية أكثر من مجرد التنفيس عن مشاعر الشعب المتعطش للحرية وذلك مثل الغاء الحماية وتصريح ٢٨ فبراير فنحن معهم الى حد : فالثورة هى التى أجبرت الانجليز على ذلك ، أجبرتهم على أن يصنعوا شيئا لارضاء هذا الشعب الثائر ، فألغوا الحماية ، وأعلنوا « تصريح ٢٨ فبراير » وأصبح السلطان ملكا وبدأت الحياة النيابية وتكونت الاحزاب ، ولكن هذا كله وان كان نتيجة للثورة كان أولا وقبل كل شىء لعبة انجليزية أكبر ، استطاع بها المستعمرون وأعوانهم أن يجعلوا الثورة تنتكس ليقنع الثوار أو فى حقيقة

أمرهم هؤلاء الذين نسوا مبادئهم فجرفهم تيار الحزبية الجارف فى خضم مشاكل داخلية بينهم ، فتحولوا من مجاهدين الى حزبيين . وكانت هذه هى اللعبة البارعة التى حبكها الانجليز وأعوانهم واستطاعوا بهـــا أن يجعلوا الثورة تنتكس وتتحول وتصبح أداة لتثبيت أقدام الانجليز فى مصر !

هذا هو تقويمنا لثورة سنة ١٩١٩ ..

وخلاصة القول : أنها قد أدت دورها على أحسن وجه وان الشعب الذى قام بها بذل كل جهده ودمه فى سبيل بلوغ أمانيه وأهدافه ، ولكن العوامل المفروضة على الثورة هى التى أدت الى انتكاسها ، وبذلك يكون الكفاح من أجل اجلاء المســـــتعمر قد دخل مراحل جديدة نتناولها فى الفصل التالى ..

الفصل الثالث

مفاوضات الجلاء

تمهيد :

تكررت المفاوضات من أجل الجلاء منذ سنة ١٩٢١ حتى تحقق ذلك الجلاء بالفعل ، وكانت المفاوضات تصطدم بكثير من العقبات التي يخلقها الانجليز خلقا من أجل اخفاقها ، وفي هذا الفصل رأينا أن نبدأ بعرض ملخص لتقرير اللجنة الخصوصية المنتدبة لبحث المسألة المصرية ونقصد بها لجنة ملنر باعتبارها نقطة تحول في تاريخ تسوية المسألة المصرية على الرغم مما قوبلت به هذه اللجنة من مقاطعة اجماعية من كل المصريين وعلى الرغم من أن الفشل الذريع كان نصيب تلك اللجنة ٠

فالشعب العربي في مصر الذي قام بثورته الخالدة في سنة ١٩١٩ لم يرحب بهذه اللجنة لانهـا لم تأت لتبحث في تحقيق الاستقلال الذي يأمله الشعب ، وانما أتت لمجرد تحقيق أسباب الاضطرابات التي حدثت في مصر لتهدئة الجو وتهيئته لاستمرار الحماية ، فلجنة تأتي لهذا السبب لايمكن بأية حال أن تلقى قبولا من أي مصري بذل كل مايستطيع من جهود ودم في سبيل تحقيق استقلال بلاده ، كما أن القطيعة التي قوبلت بها اللجنة أينما حلت انما كانت نتيجة حتمية لفقدان ثقة الوطنيين في الوعود البريطانية المتكررة التي لم تدل على شيء الا على مكر البريطانيين وخديعتهم وطعنهم لأماني الأمة المصرية ٠

وفي تعرضنا لتقرير لجنة ملنر هذه ثم لسلسلة المفاوضات والمباحثات التي جرت منذ ذلك الحين سنبذل جهدنا في أن يكون ذلك كله بايجاز كبير على ألا يكون هذا الايجاز على حساب الحقيقة والموضوع ، ولعـل مايدل على مراعاتنا لهذا الايجاز هو عـدم ايرادنا لكل المشروعات التي قدمها الجانبان المصري والبريطاني بشأن الجلاء عن مصر ٠

أولا ــ تقرير اللجنة الخصوصية المنتدبة لمصر (لجنة ملنر) :

فوضت الحكومة البريطانية هذه اللجنة لتحقيق أسباب الاضطرابات التي حدثت في مصر وعن شكل القانون النظامي الذي يعد تحت الحماية

خير دستور لترقية أسباب السلام واليسر والرخاء فيها ولتوسيع نطاق الحكم الذاتى فيها توسيعا دائم التقدم والترقى لحماية المصالح الاجنبية(١)

وفى ٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ رفع ملنر تقريره الى وزير خارجيته «الارل كرزن» الذى نلخصه فيما يلى :

١ — انسم موقف «فؤاد» بازاء غرض اللجنة بموقف الملتزم جانب الحياد مما يثبت أن ذلك الملك كان يهمه الافادة الشخصية من الموقف المتازم فى مصر · بمعنى أنه لم يكن يهمه فى قليل أو كثير ما تنتهى اليه اللجنة من نتائج ، سواء كانت لمصلحة الشعب او ضد اماله وأهدافه . وكان «فؤاد» ينتظر مايسفر عنه الموقف ، فاذا انتصرت ارادة الجماهير تقدم منها ولوح لها بترحيبه بنصرها ، اما اذا انتصرت ثورة بريطانية الغاشمة فانه يتعاون معها ، ويظهر للشعب أنه كان مغلوبا على أمره ·

وجاء فى تقرير اللجنة « ان الوزراء المصريين كانوا شديدى العناية بتركنا وشأننا حتى نستنتج النتائج بأنفسنا ، ولما طلبنا منهم صريحا أن يفصحوا لنا عن آرائهم أظهروا عدم رغبتهم فى اقتراح شىء من عندهم فى المسائل الدستورية الخارجة عن المسائل الادارية ، ولم يظهروا أدنى رغبة فى معرفة الجهة التى تتجه اليها أفكار اللجنة من جهة حكومة مصر فى المستقبل » ماذا نقول عن هؤلاء الوزراء اليوم ، غير أنهم لم يكونوا الا لعبة فى يد الملك والاستعمار ، لايهمهم الوطن ومصالح الشعب بقدر ماتهمهم مصالحهم وكراسى الحكم ؟

أما بالنسبة لموقف الشعب من اللجنة فقد ذكرت هذه اللجنة : «غير أن هذا الاحتراس والتمنع اللذين بدوا من رجال الحكومة الوطنيين كانا على نقيض مافعله جمهور الوطنيين والجرائد الوطنية فانهم أثاروا عواصف الاحتجاج والاستنكار على اللجنة ولا حاجة بنا الى أطالة الكلام عن ضروب العداوات التى قوبلت اللجنة بها وأنواع المقاومات للغايات التى جاءت من أجلها ·

وعلقت اللجنة على سياسة كرومر فى مصر بقولها :

«ان نظام الأحكام الذى استنبطه اللورد كرومر لانقاذ حكومة قد دهمها الافلاس (يقصد حكومة مصر) لم يكن الا نظاما وقتيا · لانه لم يكن أحد يظن مدة أعوام كثيرة أن الاحتلال يدوم الى ماشاء الله بعد ماوافقنا فعلا سنة ١٨٨٧ على أنه ينتهى بعد أجل قصير · ولطول زمان الاحتلال

(١) من مضبطة مجلس النواب سنة ١٩٣٦ ·

زاد عدد الموظفين البريطانيين زيادة مطردة وأغفل المبدأ القاضي بأن يكون غرض الادارة تدريب المصريين واعدادهم لتدبير شئونهم بأنفسهم ٠ ومما يذكر هنا أن عدد الموظفين البريطانيين كان حوالى مائة في أوائل سنى الاحتلال فبلغ الآن حوالى ١٦٠٠ر١ في هذه الايام (سنة ١٩٢٠) وفئات رواتبهم تختلف عن فئات رواتب المصريين ٠

ثم استعرض تقرير اللجنة أسباب الاضطرابات في القاهرة وغيرها من البنادر الكبرى في المدة السابقة على الاضطرابات التى حدثت بعد ذلك وبلغت أوجها في ثورة سنة ١٩١٩ في مارس من العام نفسه ٠:

وانتقل التقرير الى الاسباب التى رآها قد أدت الى اشتراك الفلاحين في ثورة سنة ١٩١٩ ونلخصها فيما يلى :

١ ـ التجنيد لفيلق العمال والهجانة المصرى ٠

٢ ـ مصادرة الحيوانات ٠

٣ ـ مصادرة الحبوب ٠

٤ ـ جمع الاموال للصليب الاحمر ٠ فكان استهجان الناس لطريقة تنفيذ هذه العوامل أكثر من العوامل نفسها، فهذه العوامل المختلفة أفضت في آخر سنة ١٩١٨ الى الاستياء والقلق بين معاشر الفلاحين» ٠

ثم ذكر التقرير «كيف أن المبادىء التى جاهر بها الرئيس ولسن ووافق الحلفاء عليها أثرت تأثيرا سريعا قاطعا في الرأى المصرى٠ فالمعتدلون في مصر قاموا يقولون : ان الوقت قد حان للمطالبة بحكم ذاتى طبقا لما صرح به الساسة البريطانيون مرارا من أن تدخلنا في مصر وقتى وشعر الناس شعورا صادقا بأن سلوك البلاد عامة في الحرب ومعاونة السلطان ووزرائه والبذل الكثير الذى دعيت الأمة اليه فلبته تعطيهم حقا في مراعاة بريطانيا العظمى لهم مراعاة خصوصية ٠

وتعرضت اللجنة في تقريرها لمسألة طلب زعماء الامة السفر الى لندن لعرض بيان «بالاستقلال الذاتى التام» لمصر ، ثم كيف تم اعتقال سعد زغلول وثلاثة من انصاره ؟

وبين التقرير كيف قامت الثورة في القاهرة ، ثم انتقلت الى الاقاليم وانتشرت منها الى معظم مديريات الوجه البحرى والقبلى ؟

وقال تقرير اللجنة عن الثورة : «وكانت حركة وطنية تؤيدها جميع الطبقات والمذاهب في الأمة المصرية وفى جملتهم الاقباط ، وظهرت بين

أشد عناصرها تعصبا بمظهر تخريب الاملاك والمواصلات تخريبا منظما والاستهانة بالنفوس استهانة متزايدة » ٠

وتحدث التقرير عن الحركة الوطنية والامانى المصرية فانتهى الى «ان المصريين على آراء شتى ومذاهب مختلفة ، ولكنهم متفقون كلهم على أمر واحد وهو رغبتهم فى حفظ قوميتهم وجنسيتهم بحيث يكونون شعبا ممتازا عن سواهم» ٠

وبالنسبة لسياسة بريطانيا رأت اللجنة ٠ «أن يكون لبريطانيا العظمى الحق فى ابقاء قوة عسكرية فى أرض مصر لتحمى مصلحتها الخصوصية فى مصر . أى سلامة مواصلاتها الامبراطورية وأن يكون لها نصيب من المراقبة على التشريع المصرى والادارة المصرية فيما يختص بالاجانب للدفاع عن كل المصالح الاجنبية المشروعة » ٠

ومضت اللجنة فى تقريرها ، فذكرت كيف تمكن عدلى من اقناع سعد بمناقشة اللجنة . وفى ٧ من يونيو ١٩٢٠ وصل سعد الى لندن ورافقه سبعة من أعضاء الوفد ودار الكلام بينهم وبين اللجنة ٠ وقد حضر جانب من المناقشات عدلى أيضا ، وانتهت المناقشات على قبول فكرة عقد معاهدة بين بريطانيا ومصر «ثم يلزمنا أن نعترف أن الوفد كان يميل الى التجاوز عن كثير من مطالبه لرغبته الشديدة فى الاتفاق وحسن التفاهم مع اللجنة » ٠

وينتهى التقرير الى أنه قد صدر فى آخر المناقشات مذكرة تسمى اتفاق ملنر ـ زغلول ، هذه المذكرة كانت ترسم القواعد التى يمكن أن يبنى عليها الاتفاق بعد وضعها وكانت هذه المذكرة مؤرخة فى ١٨ من أغسطس سنة ١٩٢٠ ٠

وقد اشتملت هذه المذكرة على النتيجة النهائية التى انتهت اليها المحادثات التى دارت بلندن فى شهرى يونيو وأغسطس سنة ١٩٢٠ بين اللورد ملنر وأعضاء اللجنة الخصوصية المنتدبة لمصر وبين سعد وأعضاء الوفد المصرى والذى اشترك فيها عدلى يكن أيضا ٠

واشتملت المذكرة على :

١ ـ تمثيل مصر فى البلاد الاجنبية ٠

٢ ـ الدفاع عن المواصلات البريطانية ٠

٣ ـ الموظفون البريطانيون فى خدمة الحكومة المصرية

٤ ـ التحفظات لحماية الاجانب ٠

٥ ـ السودان واستحالة تسوية مسألته على المبـــادىء التى يراد تسوية المسألة المصرية عليها ٠

وبين تقرير اللجنة كيف قوبلت التسوية بالرضا فى مصر واعترف بأن الحزب الوطنى وآخرين حملوا على التسوية باعتبارها لاتحمـــل لمصر استقلالا حقيقيا واحتجوا خاصة لعدم ادخال السودان فى المشروع ٠

والآن نتناول المفاوضات الرسمية بين الحكومتين المصرية والانجليزية فى شىء من الايجاز ٠

ثانيا ـ المفاوضات الرسمية بين الحكومتين المصرية والانجليزية :

١ ـ مفاوضات عدلى ـ كيرزن

على أثر نشر تقرير لجنة ملنر فى ١٨ من أغسطس سنة ١٩٢٠ أبلغت بريطانيا السلطان فؤاد فى ٢٦ من فبراير سنة ١٩٢١ قرارا تطلب فيه تعيين وفد رسمى للمفاوضة فى وضع اتفاق بين البلدين وكلف عدلى يكن تأليف وزارة لاتخاذ الوسائل السياسية التى تقتضيها حالة البلاد فألفها فى ١٧ من شهر مارس سنة ١٩٢١ وأعلن برنامجها السياسى من حيث أن الوزارة « ستجعل نصب عينيها فى المهمة السياسية التى ستقوم بهـــا لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر ـ ستجعل نصب عينيها ـ الوصول الى اتفاق لايجعل محلا للشك فى اســــتقلال مصر ، وستجرى فى هذه المهمة متشبعة بما تتوق اليه البلاد مسترشدة بمـــا رسمته ارادة الامة وستدعو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك فى العمل لتحقيق هذا الغرض» ٠

وفى ١٨ من مايو سنة ١٩٢١ شكل عدلى يكن وفدالمفاوضة برياسته وفى اليوم التالى وافق فؤاد على ذلك التشكيل ٠

ووصل الوفد الى لندن فى يوم ١١ من يوليو ســـنة ١٩٢١ وبدىء بالمفاوضات من اليوم التالى لوصـــول الوفد ، وقد عقـــد أربعة وعشرين اجتماعا حضر الوفد بأكمله خمسة منها ، أما باقى الجلسات فكان يحضرها رئيس الوفد وحده أو مع أحد أعضاء الوفد ٠

ويقول الاستاذ عبد الحميد بدوى السكرتير العام للوفد الرسمى :

« امتدت المفاوضات الى ٢٦ من أغسطس ثم تلا ذلك فصل اجازة البرلمان فأوقفت المفاوضات فى هذه الفترة واستؤنفت فى نهاية الاسبوع

الاول من شهر اكتوبر على أنه لم يعقد بعد العودة من الاجازة الا بضع جلسات»(١) ·

وبعد نهاية المفاوضات سلمت الحكومة الانجليزية الوفد مشروعها في العاشر من شهر نوفمبر فرد عليها الوفد : «ان المشروع لايجعل محلا للأمل فى الوصول الى اتفاق ، وقد رأينا لذلك أنه لا وجه للبحث فى الطريقة التى يكون بها الاعتراف باستقلال مصر دوليا كما لم نر وجها لاعادة البحث والمناقشة فى أبواب المشروع الاخرى . ·

وقد اتخذ الوفد هذا الموقف الحازم عندما تبين له أن المادة المتعلقة بالمسالة العسكرية قد عدلت بحيث أصبحت الاغراض التى ينبغى من أجلها وجود القوة العسكرية مبهمة بعد أن نص فى المشروع على وجود تلك القوات للدفاع عن المصالح الحيوية لمصر ، وهى عبارة أبعد مدى وأوسع مدلولا لايكاد يمتنع معها أى قدر من التدخل فى شئون الادارة المصرية ·

وانقطعت بذلك المفاوضات وبرح الوفد مدينة لندن يوم ٢٠ من نوفمبر بعد أن تأكد له أن المشروع البريطانى لايحقق أمانى مصر القومية ·

وفى ٨ من ديسمبر قدم الوفد الى فؤاد تقريرا عن مهمته ورفع عدلى يكن استقالته حيث ان المفاوضات التى باشرها الوفد الذى كان يرأسه فى لندن لم تسفر عن تحقيق المطالب القومية ·

وصدر بتاريخ ٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٢١ أمر سلطانى بقبول استقالة عدلى يكن ·

ثم بدأت انجلترا تلعب على مسرح الحياة السياسية دورا استعماريا جديدا ، اذ قام المندوب السامى فى مصر بتبليغ الحكومة المصرية انتهاء الحماية البريطانية على مصر ، وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة ·

وكان ذلك هو تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الخاص بالغاء الحماية البريطانية على مصر · ولقد تعرضنا لذلك التصريح فى مكان آخر من هذا الكتاب ·

٢ ـ محادثات عبد الخالق ثروت ـ تشمبرلن

دارت تلك المحادثات بين عبد الخالق ثروت رئيس مجلس الوزراء فى مصر فى تلك الايام وسير أوستن تشمبرلن وزير خارجية بريطانيا ·

(١) المناقشات البرلمانية فى القوانين ـ مجلس الشيوخ ـ قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ بالموافقة على معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا العظمى ·

بدأت تلك المباحثات والمكاتبات في يوم ٤ من يوليو سنة ١٩٢٧ وانتهت في ٥ من مارس سنة ١٩٢٨ •

وكانت تلك المحادثات تهدف الى الوصول الى اتفاق يصلح أساسا لمفاوضات رسمية يكون الغرض منها «عقد معاهدة تحالف وصداقة بين بريطانيا العظمى ومصر» •

وقد وضع ثروت مشروع معاهدة وسلمه في ١٨ من يوليو سنة ١٩٢٧ الى مستر سلبي ليوصله الى سير أوستن تشمبرلن •

ولكن لم يوافق على المشروع المصرى ، وقدمت بريطانيا مشروع معاهدة أخرى •

ولما عرض مشروع المعاهدة البريطاني على مجلس الوزراء المصرى رأى المجلس «ان المشروع لايتفق في أساسه ونصوصه مع استقلال البلاد وسيادتها ويجعل الاحتلال العسكرى البريطاني شرعيا» •

ويقول ثروت في كتابه المؤرخ ١٩٢٨/٣/٥ الى اللورد لويد المندوب السامي البريطاني في مصر والذى ختم به المحادثات : «حقا كنت أتمنى أن أصل بالمسائل كلها الى تمام الوضوح والنضج وأن أصفى مسائل البوليس والجيش وتوزيع مياه النيل ، ولقد كان يمكنني بهذا أن أطرح على زملائي مشروع اتفاق يحل جميع المسائل المعلقة ، مع الاحتفاظ بمسألة السودان السياسية ، ويتضمن جملة من المزايا المحسوسة ، لامشروعا يترك معلقا بعضا من المسائل التي تعيرها البلاد بحق أهمية كبيرة جدا ويحمل لذلك في طياته أسباب الاحتكاك والتصادم في المستقبل» •

٣ ـ مفاوضات محمد محمود ـ هندرسون

صيف سنة ١٩٢٩

عندما ألف محمد محمود الوزارة في يونيو سنة ١٩٢٨ أجل انعقاد البرلمان ثم عطل الدستور في يوليو ١٩٢٨ وقابل الشعب ذلك بالسخط والاستنكار •

وقامت المفاوضات بين مصر وانجلترا في صيف سنة ١٩٢٩ وأسفرت عن مشروع معاهدة (محمد محمود ـ هندرسون) ولكن كان هذا المشروع هدما وتخريبا لاستقلال البلاد الحقيقي وكان ذلك يبدو واضحا في النص الخاص ببقاء القوات المحتلة وبقاء السودان منفصلا عن مصر واقرار الحكم الثنائي له • والمضحك المبكي في تلك المفاوضات أن الانجليز (هندرسون) في ردهم على محمد محمود بشأن عودة الجنود المصرية الى السودان

يشترطون طلعتنا ثمنا لعودة «أورطة» مصرية الى السودان ، فاذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بهـــا فى المقترحات فان الحكومة تكون مستعدة لان تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة أورطة مصرية الى السودان فى الوقت الذى تسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة .

ولما أعلن محمد محمود نصوص معاهدته مع الانجليز طالبه الشعب باعادة الحياة النيابية والدستورية الى البلاد حتى تقول الأمة كلمتها فى المعاهدة .

وما لبثت حكومة محمد محمود أن سقطت أمام معاول نقد الشعب لها ولمعاهدتها المقترحة .

وتألفت وزارة عـــدلى يكن فى اكتوبر ســـنة ١٩٢٩ ، وأجريت الانتخابات فى عهدها وأسفرت عن فوز الوفد وعهد الى مصطفى النحاس بتأليف الوزارة .

٤ ـ مفاوضات النحاس ـ هندرسون

٣١ من مارس ١٩٣٠ ـ ٨ من مايو ١٩٣٠

وقامت حكومة النحاس بعرض المقترحات البريطانيـــة على كل من مجلسى البرلمان (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) بجلستيهما المنعقدتين فى ٣ من فبراير سنة ١٩٣٠ .

وصدر قرار مجلسى البرلمان بجلسة ٦ من فبراير ١٩٣٠ بتفويض الحكومة فى المفاوضات «للوصول الى اتفاق شريف وطيـــد يوثق عرى الصداقة بين البلدين» .

وقرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ٦ من فبراير سنة ١٩٣٠ تشكيل الوفد الذى سيتولى المفاوضة مع الجانب البريطانى .

وبدأت المحادثات فى يوم الاثنين الموافق ٣١ من مارس سنة ١٩٣٠ فى قاعة لوكارنو بوزارة الخارجية البريطانية بلندن .

وفى يوم الاربعاء ٢ من ابريل سنة ١٩٣٠ سلم الوفد المصرى المستر سلبى سكرتير وزير الخارجية البريطانية بدار البرلمان الانجليزى مشروعه الاول .

ثم عقدت اثنتان وعشرون جلسة متتـــابعة بين الجانبين المصرى والبريطانى كان آخرها يوم الخميس ٨ من مايو سنة ١٩٣٠ .

ولقد انفض المؤتمر لتعذر الاتفاق على مسألة السودان اذ وجد أن

قبول نص المادة التى قررها مجلس وزراء بريطانيا «مضيعة لحقوق مصر المقدسة فى السودان ، ومصالحها الحيوية ·

وأقيلت حكومة مصطفى النحاس وجاءت وزارة صدقى الذى قابلته الجماهير بمطالبها القومية وعلى رأسها الجلاء ·.

٥ ـ محادثات اسماعيل صدقى ـ جون سيمون

(سبتمبر سنة ١٩٣٢)

وبدأ صدقى يمهد لهذه المباحثات منذ تولى الوزارة حتى نجح أخيرا فى اجرائها فى ٢١ من سبتمبر سنة ١٩٣٢ ، وقد رتب مقابلة صدقى لسيمون حافظ عفيفى ·

وفى مدينة جنيف تمت المقابلة بين صدقى وسيمون وحضر المحادثات أيضا مستر ايدن وكان يعمل كوكيل برلمانى لوزارة الخارجية وكان فى جنيف لحضور مؤتمر نزع السلاح ·

وكان من رأى جون سيمون أنه يعتقد بصفته الشخصية أن مشروعى الاتفاق لسنتى ١٩٢٩و١٩٣٠ يجب اتخاذهما أساسا للمفاوضات المقبلة وهناك مسائل سلم بها كانتهاء الاحتلال البريطانى وكالتحالف بين البلدين والمساعدة على الغاء الامتيازات وقبول مصر فى عصبة الامم ، ولكنه أبدى تحفظين اثنين : الاول خاص بالنقط العسكرية ، والآخر بالسودان ·

ثم انتقل الحديث الى مسألة المفاوضات نفسها والوقت الذى تبدأ فيه وسلم سيمون مبدئيا بضرورة اجراء هذه المفاوضات فى الوقت المناسب وفى أقرب فرصة ممكنة ·

وفى سنة ١٩٣٣ استقال صدقى بعد عهده الدامى فى مصر ·

وتوالت على مصر الوزارات المختلفة التى كان يقابلها الشعب دائما بمطلبه الاسمى وهو تحقيق الجلاء ، واجلاء القوات البريطانية عن مصر ·

٦ ـ محادثات سنة ١٩٣٦

تألفت جبهة وطنية من مختلف الهيئات والاحزاب السياسية(١) برياسة مصطفى النحاس رئيس الوفد المصرى ، وأرسلت فى ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٥ الى المندوب السامى البريطانى فى مصر خطابا يرحبون أن يتفضل (المندوب السامى) فيبلغ الحكومة البريطانية طلبنا أن

(١) لم يشترك في تلك المفاوضات الحزب الوطنى لمخالفتها لمبدئه · « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ولان اساس تلك المفاوضة كان مشروع سنة ١٩٣٠ الذى رفضه في حينه ـ

تصرح بقبولها ابرام معاهدة بينها وبين حكومة مصر الدستورية بالنصوص التي انتهت اليها مفاوضات هندرسن ـ النحاس في سنة ١٩٣٠» ٠

وصدر في ١٣من فبراير سنة ١٩٣٦ «مرسوم بتعيين الهيئة الرسمية لابرام معاهدة صداقة ومودة بين مصر وبريطانيا » وبدأت المفاوضات الاولى بين مصر وبريطانيا التي كان يمثلها (لورد كيلرن» المعتمد البريطاني بالقاهرة ٠

ثم ألف النحاس وزارته الثالثة في ١٠ من مايو سنة ١٩٣٦ وكان مما يسترعي النظر في برنامج وزارته قول النحاس : ان تحقيق استقلال البلاد يكون بابرام معاهدة مودة وتحالف مع الدولة البريطانية الصديقة. ومن عجب أن يصف النحاس الدولة الغاصبة بالدولة الصديقة ، وأعجب من ذلك أن يعتبر ابرام معاهدة تحالف معها محققا للاستقلال في حين أن ابرام هذه المعاهدة وذلك التحالف جاء كما سنرى مهدرا لهذا الاستقلال لامحققا له ٠ ولكن سياسة الوفد قد درجت على هذا المنطق المعكوس(١) ٠

وفي ٢ من مارس سنة ١٩٣٦ عقدت جلسة افتتاح المحادثات بقصر الزعفران ٠

وفي ٩ من مارس سنة ١٩٣٦ بدأت جلسات العمل ، ثم قدم الفريق البريطاني مذكرة بوجهة نظره في المسألة العسكرية ٠

وفي ١٦ من مارس سنة ١٩٣٦ رد الجانب المصري على المذكرة البريطانية بمذكرة تبين وجهة نظره ٠

وتوالت الجلسات بين الجانبين حتى يوم ١٦ من أغسطس سنة١٩٣٦ الذى انتهى فيه من وضع مشروع المعاهدة وصدر تفويض ملكى بتعيين أعضاء الهيئة الرسمية مبعوثين فوق العادة لتوقيع المعاهدة ٠

وفي ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٦ تم هذا التوقيع بقاعة لوكارنو بوزارة الخارجية البريطانية بعد أن رتبت المعاهدة في شكلها النهائى ٠

ودعي البرلمان (مجلس النواب) لجلسة يوم ٢ من نوفبر ١٩٣٦ في اجتماع غير عادى لنظر المعاهدة ٠

وألقت الوزارة على أعضاء مجلس النواب بيانا عن مشروع المعاهدة في تلك الجلسة ثم أحيل المشروع الى لجنة الشئون الخارجية بالمجلس ٠

وفي جلسة ١١ من نوفمبر سنة ١٩٣٦ قدمت اللجنة تقريرها عن مشروع المعاهدة مقترحة الموافقة على المشروع ٠

(١) عبدالرحمن الرافعى في أعقاب الثورة المصرية ٠ الجزء الثالث ٠

وقد وافق مجلس النواب بجلسة ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٣٦ على مشروع المعاهدة •

وبجلسة ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣٦ وافق على المشروع مجلس الشيوخ أيضا •

ثم صدر القانون رقم ٨٠ لسنة١٩٣٦ «بالموافقة على معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى » وكان ذلك فى ٢٠ من نوفمبر سنة ١٩٣٦•

وقد تم تبادل وثائق التصديق على المعاهدة فى القاهرة بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٦ •

وصدر فى ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٦ المرسوم الخاص باصدار المعاهدة وقد نص فيه على أن يعمل ابتداء من ٢٢ من ديسمبر سنة ٩٩٣٦ بأحكام المعاهدة •

ومن ذلك التاريخ أصبحت تلك المعاهدة منفذة فى البلاد كقانون من قوانين الدولة المصرية •

ونورد فيما يلى نص المعاهدة •

معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا التى وقعها مندوبو الدولتين فى يوم الاربعاء ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٦ بقاعة لوكارنو بوزارة الخارجية البريطانية •

نص مواد المعاهدة بعد الديباجة

المادة الاولى

انتهى احتلال مصر عسكريا بوساطة صاحب الجلالة الملك والامبراطور •

المادة الثانية

يقوم من الآن فصاعدا بتمثيل صاحب الجلالة الملك والامبراطور لدى بلاط جلالة ملك مصر وبتمثيل صاحب الجلالة ملك مصر لدى بلاط سان جيمس سفراء معتمدون بالطرق المرعية •

المادة الثالثة

تنوى مصر أن تطلب الانضمام الى عضوية عصبة الامم • وبما أن

حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة تعترف بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة فانها ستؤيد أى طلب تقدمه الحكومة المصرية لدخول عصبة الامم بالشروط المنصوص عليها فى المادة الاولى من عهد العصبة ٠

المادة الرابعة

تعقد محالفة بين الطرفين المتعاقدين الغرض منها توطيد الصداقة والتفاهم الودى وحسن العلاقات بينهما ٠

المادة الخامسة

يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بألا يتخذ فى علاقاته مع البلاد الأجنبية موقفا يتعارض مع المحالفة وألا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدات الحالية ٠

المادة السادسة

اذا أفضى خلاف بين أحد الطرفين المتعاقدين ودولة أخرى الى حالة تنطوى على خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة يتبادل الطرفان المتعاقدان الرأى لحل ذلك الخلاف بالوسائل السلمية طبقا لاحكام عهد عصبة الامم أو لاى تعهدات دولية أخرى تكون منطبقة على تلك الحالة ٠

المادة السابعة

اذا اشتبك أحد الطرفين فى حرب بالرغم من أحكام المادة السادسة المتقدم ذكرها فان الطرف الآخر يقوم فى الحال بانجاده بصفته حليفا وذلك مع مراعاة أحكام المادة العاشرة الآتى ذكرها ٠

وتنحصر معاونة صاحب الجلالة ملك مصر فى حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها فى أن يقدم الى جلالة الملك والامبراطور داخل حدود الاراضى المصرية مع مراعاة النظام المصرى للادارة والتشريع جميع التسهيلات والمساعدة التى فى وسعه بما فى ذلك من استخدام موانيه ومطاراته وطرق المواصلات ٠

وبناء على هذا فان الحكومة المصرية هى التى لها أن تتخذ جميع الاجراءات الادارية والتشريعية بما فى ذلك من اعلان الاحكام العرفية واقامة رقابة وافية على الانباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدة فعالة ٠

المادة الثامنة

بما أن قناة السويس التى هى جزء لا يتجزأ من مصر هى فى الوقت

بنفسه طريق عالمى للمواصلات كما هى أيضا طريق أساسى للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية • فالى أن يحين الوقت الذى يتفق فيه الطرفان المتعاقدان على أن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القناة وسلامتها التامة يرخص صاحب الجلالة ملك مصر لصاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن يضع فى الاراضى المصرية بجوار القناة بالمنطقة المحدودة فى ملحق هذه المادة قوات تتعاون مع القوات المصرية لضمان الدفاع عن القناة • ويشمل ملحق هذه المادة تفاصيل الترتيبات الخاصة بتنفيذها ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال بأية حال • كما أنه لا يخل بأى وجه من الوجوه بحقوق السيادة المصرية •

ومن المتفق عليه انه اذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة المحدودة فى المادة السادسة عشرة على مسألة احتمال أن وجود القوات البريطانية لم يعد ضروريا لان الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة على القناة وسلامتها التامة فان هذا الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الامم للفصل فيه طبقا لاحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة أو على أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقا للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان •

المادة التاسعة

يحدد باتفاق خاص يبرم بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة ما تتمتع به من اعفاء وميزات فى المسائل القضائية والمالية قوات صاحب الجلالة الملك والامبراطور التى تكون موجودة طبقا لاحكام هذه المعاهدة •

المادة العاشرة

ليس فى أحكام هذه المعاهدة مايمس أو مايقصد به أن يمس بأية حال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التى قد تترتب لأحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد عصبة الامم أو ميثاق منع الحرب الموقع عليه بباريس فى ٢٧ من أغسطس سنة ١٩٢٨ •

المادة الحادية عشرة

ـ مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل لتعديل اتفاقيتى ١٩ من يناير و ١٠ من يوليو سنة ١٨٩٩ قد اتفق الطرفان المتعاقدان على أن ادارة السودان تستمر مستمدة من الاتفاقيتين المذكورتين ويواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين •

والطرفان المتعاقدان متفقان على أن الغاية الاولى لادارتهما فى السودان يجب أن تكون رفاهية السودان ·

وليس فى نصوص هـــذه المادة أى مساس بمسألة السيادة على السودان ·

٢ ـ وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان وترقيتهم مخولة للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطـانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لا يتوافر لها سودانيون كفاة ·

٣ ـ يكون جنود بريطانيون وجنود مصريون تحت تصرف الحـاكم العام للدفاع عن السودان فضلا عن الجنود السودانيين ·

٤ ـ تكون هجرة المصريين الى السودان خالية من كل قيد الا فيما يتعلق بالصحة والنظام العام ·

٥ ـ لا يكون هناك تمييز فى السودان بين الرعايا البريطانيين وبين الرعايا المصريين فى شئون التجارة والمهاجرة أو فى الملكية ·

٦ ـ اتفق الطرفان المتعاقدان على الاحكام الواردة فى ملحق هذه المادة فيما يتعلق بالطريقة التى تصبح بها الاتفاقات الدولية سارية فى السودان ·

المادة الثانية عشرة

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن المسئولية عن أرواح الاجانب وأموالهم فى مصر من خصائص الحكومة المصرية دون سواها وهى التى تتولى تنفيذ واجباتها فى هذا الصدد ·

المادة الثالثة عشرة

يعترف صاحب الجلالة الملك والامبراطور بأن نظام الامتيازات القائم بمصر الآن لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة ·

ويرغب صاحب الجلالة ملك مصر فى الغاء هذا النظام دون ابطاء ·

وقد اتفق الطرفان المتعاقدان على الترتيبات الواردة بهـــذا الشأن فى ملحق هذه المادة ·

المادة الرابعة عشرة

تلغى المعاهدة الحالية جميع الاتفاقات أو الوثائق القائمة التى يكون

استمرار بقائها منافيا لاحكام هذه المعاهدة • ويجب أن يعد باتفاق الطرفين المتعاقدين اذا طلب أحدهما ذلك ، بيان بالاتفاقات والوثائق الملغاة وذلك فى مدى ستة أشهر من نفاذ هذه المعاهدة •

المادة الخامسة عشرة

اتفق الطرفان المتعاقدان على أن أى خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق أحكام المعاهدة الحالية أو تفسيرها ولا يتسنى لهما تسويته بالمفاوضات بينهما مباشرة يعالج بمقتضى أحكام عهد عصبة الامم •

المادة السادسة عشرة

يدخل الطرفان المتعاقدان فى مفاوضات بناء على طلب أى منهما فى أى وقت بعد انقضاء مدة عشرين سنة على تنفيذ هذه المعاهدة ، وذلك بقصد اعادة النظر بالاتفاق بينهما فى نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حين ذاك فاذا لم يستطع الطرفان المتعاقدان الاتفاق على نصوص المعاهدة التى أعيد نظرها يحال الخلاف الى مجلس عصبة الامم للفصل فيه طبقا لأحكام عهد العصبة النافذ وقت توقيع هذه المعاهدة أو الى أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقا للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان المتعاقدان •

ومن المتفق عليه أن أى تفسير فى المعاهدة عند اعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين طبقا للمبادىء التى تنطوى عليها المواد ٤ و ٥ و ٦ و ٧

ومع ذلك ففى أى وقت بعد انقضاء مدة عشر سنوات على تنفيذ المعاهدة يمكن الدخول فى مفاوضات برضاء الطرفين المتعاقدين بقصد اعادة النظر فيها كما سبق بيانه •

المادة السابعة عشرة

يصدق على المعاهدة الحالية ويتبادل التصديق عليها فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ، ويبدأ تنفيذها من تاريخ تبادل التصديق عليها، وعندئذ تسجل لدى السكرتير العام لعصبة الامم •

واقرارا بما تقدم وقع المفوضون على هذه المعاهدة ووضعوا أختامهم عليها •

وتحررت فى لندن من صورتين فى اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٦ •

تقويم معاهدة سنة ١٩٣٦ :

يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعي : « ان توقيع اتفاقية سنة ١٩٣٦ كان وليد العدوان الماثل فى وجود الاحتلال البريطانى .. على أن الجانب المصرى الذى وقعها يحتمل بلا مراء تبعة قبولها واثم توقيعها ، ولكن الرغبة الجامحة فى محالفة الغاصب ومصادقته ، والبقاء فى الحكم والاستمتاع بفوائده كل ذلك كان له الاثر البالغ فى توقيع هذه المعاهدة » .

ان تلك المعاهدة قد سلمت لبريطانيا كثيرا من المسائل الهامة : فمثلا نجد أن القاعدة البريطانية العسكرية فى هذه المعاهدة أوسع نطاقا بمقدار الضعف تقريبا عما كانت عليه فى المشروعات السابقة ، بل بلغت مساحة تلك القاعدة فى تلك المعاهدة مليونين وربع مليون الفدان .

كما نجد أن هذه المعاهدة أعطت بريطانيا الحق فى وضع جنود لها فى بورسعيد والسويس ولم يكن هذا النص واردا فى المشروع المقدم من بريطانيا فى عام ١٩٣٠ والامر كذلك بالنسبة لتكليف مصر بانشاء الطرق والسكك الحديدية المؤدية الى منطقة السويس وغيرها .

« ثم ان مشروع سنة ١٩٣٠ قصر التزام مصر بتقديم التسهيلات فى موانيها ومطاراتها وطرق مواصلاتها للقوات البريطانية على حالتى الحرب وخطر الحرب الداهم ، فأضافت المعاهدة حالة ثالثة وهى حالة قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها » (١) .

كما لم تحدد تلك المعاهدة عدد جيش انجلترا فى مصر اطلاقا لا فى وقت السلم ولا فى وقت الحرب لان خشية وقوع حالة دولية مفاجئة لا تعد من حالات الحرب كما هو معلوم فى فقه القانون الدولى العام .

أما بالنسبة للسودان فانه بموجب تلك المعاهدة قد أصبح مستعمرة انجليزية تحرسه جنود مصرية تحت أمرة حاكمه العام البريطانى وذلك كما جاء فى المادة ١١ من المعاهدة وملحقاتها .

وبرغم ذلك كله تموه حكومة الوفد على الشعب فتصف تلك المعاهدة الشائنة بانها « وثيقة الشرف والاستقلال » .

والحقيقة أن مصر لم تكن طرفا حرا عند ابرام معاهدة سنة ١٩٣٦ ، ذلك أن القوات البريطانية كانت تحتل أراضيها فضـــلا عن أن الجانب البريطانى لم يدع عند المفاوضين المصريين مجالا للشك فيما يترتب من نتائج على رفضهم التسليم بمطالب بريطانيا فقبل بدء المفاوضات مباشرة وجه المندوب السامى البريطانى الى الحكومة المصرية مذكرة شفوية أوضح

(١) عبدالرحمن الرافعى . فى أعقاب الثورة المصرية الجزء الثالث .

فيها « أن الاخفاق فى عقد اتفاق قد يترتب عليه نتائج جدية وأن بريطانيا تحتفظ فى هذه الحالة بحق اعادة النظر فى سياستها نحو مصر » (١) ·

كما أن معاهدة سنة ١٩٣٦ تتعارض مع اتفاقية قناة السويس المبرمة فى الاستانة فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٨ والتى تقوم على مبدأين أساسيين :

١ ــ ان القناة طريق دولى للمواصلات العالمية وهو مفتوح للامم جميعا على أساس المساواة ·

٢ ــ ان مسئولية الدفاع عن هذا الطريق الحيوى تقع على مصر ·

غير أن بريطانيا سعت الى الانفراد بحق الدفاع عن قناة السويس اخلالا بهذين المبدأين الاساسيين فضمنت معاهدة سنة ١٩٣٦ أحكاما ترمى الى اعتبار القناة طريقا رئيسيا للمواصلات بين الاجزاء المختلفة للامبراطورية البريطانية ·

والذى يدعيه البريطانيون من حق الانفراد بالدفاع عن القناة لا يتفق مع المبادىء العالمية والمساواة والحيدة التى شرعتها اتفاقية سنة ١٨٨٨ ·

كل هذه المظالم التى أوقعتها معاهدة سنة ١٩٣٦ على شعب مصر أبانت للمصريين أن قبضة بريطانيا على مصر والسودان انما سندها القوة القاهرة الغاشمة ·

وهكذا كانت القوات البريطانية فى مصر تمثل احتلال بريطانيا لوادى النيل · هذا الاحتلال الذى صدم ارادة أهاليه وخرق أحكام القانون الدولى خرقا صارخا ·

واستمر تدخل بريطانيا فى شئوننا هذا التدخل الذى أضر بمصالح المصريين والسودانيين على السواء كما كان انكارا للوحدة التى أرادتها الطبيعة لوادى النيل ·

وكان نتيجة ظهور تلك المآسى التى خلقتها معاهدة سنة ١٩٣٦ أن قام الشعب المصرى يطالب باستكمال استقلاله وجلاء القوات المحتلة عن أراضيه ·

ومن ثم تقدم الوفد الى الحكومة البريطانية بمذكرة تسلمها اللورد كيلرن فى الاول من أبريل سنة ١٩٤٠ ليبلغها حكومته فى لندن · وتضمنت مذكرة الوفد أن تقوم بريطانيا باصدار تصريح بأن قواتها ستنسحب من

---

(١) من بيانات محمود فهمى النقراشي رئيس مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الامن في أغسطس سنة ١٩٤٧ ·

مصر عند انتهاء الحرب العالمية الثانية التى كانت ناشبة فى ذلك الوقت ، وأن تشترك مصر فى مفاوضات الصلح للدفاع عن مصالحها ٠

وبالنسبة للسودان فانه يجب على بريطانيا أن تدخل هى ومصر فى مفاوضة يعترف فيها بحقوق مصر كاملة فى السودان لمصلحة أبناء وادى النيل جميعه ٠

وأجاب على تلك المذكرة الجانب البريطانى بمذكرة تتسم بروح السخط والحنق على الوفد ٠

ومع ذلك وفى أداء مسرحى للتهريج السياسى والحزبى نجد أن الانجليز يفرضون حكومة النحاس على البلاد فى فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

وفى سنة ١٩٤٥ كانت حكومة أحمد ماهر تحكم البلاد بعد أن أقيلت وزارة مصطفى النحاس ، فاجتمع مجلس الوزراء فى ٢٣ من سبتمبر سنة ١٩٤٥ وأقر البيان الذى أصدره لفيف من زعماء الاحزاب والمستقلين بخصوص المطالبة بالجلاء ووحدة وادى النيل ٠

وفى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ تسلمت بريطانيا مذكرة الحكومة المصرية التى طلبت فيها الدخول فى مفاوضات بينها وبين بريطانيا لاعادة النظر فى معاهدة سنة ١٩٣٦ ٠

وفى ٢٦ من يناير سنة ١٩٤٦ ردت بريطانيا على تلك المذكرة ومن المذكرة البريطانية تبين للرأى العام مبلغ سوء نية بريطانيا نحو مصر واصرارها على ابقاء أحكام معاهدة سنة ١٩٣٦ ٠

واشتد سخط الامة على السياسة الاستعمارية البريطانية التى لم تتغير برغم انتهاء الحرب العالمية الثانية واعلان ميثاق الاطلنطى والمبادىء التى قررها ميثاق الامم المتحدة .

وتجلى سخط الشعب فى المظاهرات التى عمت البلاد ، وكان اشهرها مظاهرة كوبرى عباس بالقاهرة التى راح ضحيتها عدد من الشباب الوطنى ، وعمت المظاهرات الدامية جميع المدن المصرية مطالبة بالجلاء ٠

٧ ــ مشروع معاهدة صدقى ــ بيفن

ثم جاء صدقى الى الحكم وفى ٧ من مارس سنة ١٩٤٦ صدر مرسوم بتأليف الوفد الرسمى لمفاوضة الحكومة البريطانية لتعديل المعاهدة ولم يشترك الحزب الوطنى تمسكا بسياسة «لا مفاوضة» الا بعد الجلاء .

كذلك لم يشترك الوفد المصرى لأنه اشترط أن تكون له الرياسة وأغلبية المفاوضين .

وبدات المفاوضات الرسمية فى ٩ من مايو سنة ١٩٤٦ الا انه قد تبين من مشروع المعاهدة الجديدة الذى عرضه الجانب البريطانى انه لا يختلف فى جوهره واحكامه العامة عن معاهدة سنة ١٩٣٦ ، واستمرت المفاوضات تتعثر فى الطريق الى ان استقال صدقى لفشله فى المفاوضات .

وجاء محمود فهمى النقراشى الى الحكم ، وراى ان يعرض قضية البلاد على مجلس الأمن .

٨ ــ عرض قضية وادى النيل على مجلس الأمن

اغسطس وسبتمبر سنة ١٩٤٧

ولم يقدم النقراشى على هذه الخطوة الا بعد ان ايقن تماما بفشل اية مفاوضة تقوم بين مصر وبريطانيا وبعد ان ازدادت الاشتباكات الدامية بين الوطنيين وقوات الاحتلال .

وكان النقراشى قد قام بمفاوضات مع سير رونالد كامبل سفير بريطانيا فى مصر الا أنه وجد من السفير البريطانى اصرارا على موقف بريطانيا من المسألة المصرية .

لذلك قرر مجلس الوزراء المصرى بجلسته المنعقدة فى ٢٥ من يناير سنة ١٩٤٧ عرض قضية البلاد على مجلس الأمن .

فقدمت الحكومة المصرية عريضة دعواها الى مجلس الأمن فى ١١ من يوليو سنة ١٩٤٧ تطبيقا للمادتين ٣٥ و ٣٧ من ميثاق الأمم المتحدة طالبة :

١ ــ جلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان جلاء تاما ناجزا .

٢ ــ انهاء النظام الادارى الحالى للسودان .

ولكن برغم الجهود المضنية التى بذلها الجانب المصرى أمام مجلس الأمن وبرغم وضوح الحق فى جانب مصر فان قضية الجلاء قد فشلت أمام المجلس لأنه كان يمثل هيئة سياسية تسيرها مصالح الدول الاستعمارية الكبرى فى ذلك الوقت .

٩ ــ سياسة الوفد فى مسألة الجلاء

ووحدة الوادى

توالت على مصر الوزارات فى الفترة ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة

١٩٥٠ فشهدت البلاد فترة حرجة حزينة فى عمرها ، وصرخت مصر من أعماقها عندما اغتيل النقراشى . ثم تولى ابراهيم عبد الهـادى الحكم ، وعاشت مصر عهده الاسود وايامه الارهابية وبعده جاء حسين سرى ، وفى سنة ١٩٥٠ تسلم الوفد مقاليد الحكم بعد ان فاز فى الانتخابات التى اجريت فى مصر .

كانت سياسة الوفد وهو فى المعارضة المناداة بالغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وانه لا محالفة ولا معاهدة اكتفاء بميثاق سان فرنسيسكو .

ولكن ما كاد الوفد يتولى مقاليد الحكم حتى تهافت على اجراء المفاوضة حتى جعلها مهمة تكاد تكون مزمنة ، فأعلن النحاس فى خطاب العرش الذى القاه يوم ١٦ من يناير سنة ١٩٥٠ أن وزارته لاتفتر فى بذل أصدق الجهود وأمضاها ليتم الجلاء العاجل عن أرض الوادى بشطريه وتصان وحدته تحت التاج من كل عبث واعتداء .

وشرعت وزارة الوفد فى الدخول فى سلسلة طويلة من الاتصالات والمحادثات مع الجانب البريطانى ، ولكن لم تفلح حكومة الوفد فى صرف الانجليز عن تعنتهم واقتناعهم بضرورة احترام حقوق مصر . وبرغم ذلك استمرت المحادثات وقصد وزير الخارجية المصرية الى لندن حيث تباحث مع وزير الخارجية البريطانية طويلا . وانتهت المباحثات فى ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٥٠ بأن قرر الوزير البريطانى أنه عرض على مجلس الوزراء البريطانى بصفة شخصية محضة مقترحات تتضمن طريقة علاج جديد للمسألة المصرية .

وفى ابريل سنة ١٩٥١ وضح أن المقترحات البريطانية جاءت أبعد ما تكون عن تحقيق المطالب الوطنية ومن ثم رفضت تلك المقترحات وقدمت مصر مقترحات مضادة بشأن الجلاء ووحدة مصر والسودان .

واستؤنفت المحادثات ودار البحث فيها عن السودان وبينما هى سائرة تتعثر القى وزير خارجية انجلترا بيانا فى مجلس العموم يوم ٣٠ من يوليو سنة ١٩٥١ أعلن فيه تمسك بريطانيا بالاحتلال والدفاع المشترك فى وقت السلم بحجة الضرورات الدولية ومعارضـة وحدة شـطرى الوادى ، وهكذا جاء هذا البيان ناطقا بعمق الهوة التى تفصل بين مصر وانجلترا .

وتحت ضغط الجماهير المطالبة بالجلاء والغاء المعاهدة وللخوف من انكشاف حكومة النحاس امام الشعب . قامت حكومة الوفد بالغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنة ١٨٩٩ من جانبها .

وهذا هو ما سنتناوله بالتفصيل فى الفصل القادم .

الفصل الرابع

الغاء معاهدة ١٩٣٦

تمهيد :

فى خلال الحرب العالمية الاولى رأى الشعب العربى فى مصر صورة الاحتلال البريطانى البشع ، هذا الاستعمار الغاشم الذى دمر مقومات الحياة الآمنة المطمئنة لجماهير الشعب العامل فى مصر .

ولقد رأينا فيما سبق كيف انطلق الشعب المصرى ثائرا من أجل تحقيق الجلاء عقب هدنة تلك الحرب ، وخاصة عندما أعلنت حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ورأينا أيضا أن بريطانيا واجهت هذه الثورة الوطنية بتدابير غير انسانية « فانطلقت بريطانيا تواجه الثورة بنيرانها ، فاعتقلت وشردت وسجنت » (١)

ولكن لم تخمد للثورة الوطنية فى مصر جذوة نضالهـا وحماسة الشعب العامل المكافح ، حتى « ان المحرومين كانوا هم وقود الثورة (ثورة ١٩١٩) وضحاياها » (٢) .

ومر بنا أن مفاوضات الجلاء عن مصر بدأت فى ١٣ من نوفمبر سنة ١٩١٨ ورأينا كيف انتهت بتصريح ٢٨ من فبراير سنة ١٩٢٢ . وفى نهاية المطاف علمنا ان آخر تلك المفاوضات كان بابرام معاهدة التحالف المصرية البريطانية .

« وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ التى عقدت بين مصر وبريطانيا والتى اشتركت فى توقيعها جبهة وطنية تضم كل الاحزاب السياسية العاملة فى ذلك الوقت بمثابة صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها

(١) الدكتور عبدالعزيز رفاعى : قضية الجلاء عن مصر .

(٢) الميثاق الوطنى

ثورة ١٩١٩ . فقد كادت مقدمتها تنص على استقلال مصر . على حين أن صلتها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة له وكل معنى (١) .

وخلال الحرب العالمية الثانية تحملت مصر كثيرا من المتاعب والصعوبات بسبب ما قدمته من خدمات لقوات الحلفاء عامة والقوات البريطانية بصفة خاصة تطبيقا لنصوص اتفاقية أو معاهدة ١٩٣٦ ..

وبعد انتهاء الحرب العظمى الثانية ازداد ادراك مصر لأهمية الجلاء عن اراضيها ، وجدت مصر فى اقناع بريطانيا بعدم صلاحية هذه المعاهدة وخاصة عندما قامت بالبلاد حركة اضطرابات عنيفة ضد الانجليز وخروج المظاهرات الوطنية مطالبة « بالجلاء بالدماء »

الغاء المعاهدة :

فى يناير سنة ١٩٥٠ عاد الوفد الى الحكم ولكنه فى تلك المرة لم يكن الوفد الذى يمثل ارادة الملايين من أبناء الوطن ، من أبناء الشعب العامل فى مصر .

عاد الوفد الى الحكم هذه المرة وقد انتهى به المطاف مثل باقى الاحزاب المصرية الى الحد الذى دفعه للارتماء فى احضان القصر .

« وفى الواقع كان القصر والاستعمار بحكم مصالحهما فى صف واحد فى الصف المعادى لمصالح الشعب .. (٢) بل ان الوفد فى هذه المرة التى عاد فيها الى الحكم كان قد تخلى عن الشعب واهدر كل قيمة له ناسيا بذلك انه قد تخلى طواعية عن مصدر قوته الوحيد ، وشعر الشعب بما اصابه الوفد من تخاذل امام سلطة القصر المتزايدة ، وهكذا استسلم الوفد الذى كان قد تصدى للنضال الشعبى للاستعمار والقصر .

وازاء هذا الاستسلام الشائن الذى ظهر به الوفد . بدأت الجماهير فى مصر تظهر غضبها على الوفد الذى خذل نضالها وآمالها فيه ، فخرجت المظاهرات الوطنية تهتف بتحقيق « الوعود » بالجلاء وكثيرا ما اتصفت هذه الحركات بالعنف وأراقة الدماء !

وشعر الوفد بحرج موقفه ، بل شعر بانكشافه امام الشعب ، ومن ثم قرر الوفد أن يعمل أى شىء يستعيد به بعض ثقة الجماهير بقيادته . وكان الغاء المعاهدة هو الشىء الذى فعله الوفد .

(١) الميثاق الوطنى .
(٢) الميثاق الوطنى .

ففى مساء يوم الاثنين ٨ من اكتوبر سنة ١٩٥١ اجتمع البرلمان بمجلسيه (النواب والشيوخ)وألقى رئيس الوزراء وقتئذ بيانا بقطع المفاوضات السياسية التى كانت قائمة بين حكومة الوفد والحكومة البريطانية « بعد أن تبين بجلاء عدم جدواها » . كما أعلن الغاء معاهدة ٢٦ من اغسطس ١٩٣٦ واتفاقيتى سنة ١٨٩٩ بشأن ادارة السودان .

« واستقبلت البلاد الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ بالغبطة والحماسة ، وأبدت استعدادها للبذل والتضحية شأنها فى الأوقات العصيبة . واستعدت الأمة بمختلف هيئاتها وطوائفها للكفاح وتجاوبت مع الحكومة فى مجاهدة الانجليز فى القناة ، وتجلت فى الشعب الروح الوطنية الثائرة التى ظهرت فى ثورة ١٩١٩ (١) .

والحقيقة أن الغاء المعاهدة كان من أهم الحوادث أثرا فى تاريخنا القومى ، ولقد كان أيضا من أهم الحوادث المسببة لثورة الشعب المصرى نفسه للكفاح الفعلى فى سبيل اجلاء الاحتلال البريطانى عن مصر ، ولاعجب فى ذلك اذ أن الثورة على الاستعمار حق طبيعى لكل الشعوب المستعمرة .

وكانت الفرصة سانحة أمام الوفد لتوحيد صفوف الامة وجمع الكلمة وازالة أسباب الفرقة والانقسام ، ويقول الاستاذ الرافعى تعليقا على ذلك : « ولكن النحاس لم يفعل شيئا من ذلك ، فلا هو دعا معارضيه الذين أيدوه فى الغاء المعاهدة الى التعاون معه بشكل جدى ، ولا هو صبغ وزارته بالصبغة القومية ولا عدل عن سياسته الحزبية فى شئون الحكم ، وكان هذا الموقف مظهرا من المظاهر التى دلت على أن الوفد لم يرد أن يبذل أى جهد فى سبيل توحيد كلمة الامة ، بل لم يفكر اطلاقا فى هذه الناحية ، ولكن تبين مع الزمن أنها (وزارة الوفد) لم تتخذ أية عدة لمواجهة الموقف ، فلا هى نظمت المقاومة سلبية أو ايجابية . ولا هى دربت المتطوعين على حرب العصابات ، ولا سلحتهم أو أعدت تنظيمات الكفاح ، ولا زودت رجال البوليس فى مدن القناة بالسلاح والذخيرة الكافيين لمواجهة الموقف . بل لم تزود هذه المدن بالتموين الكافى قبل الكفاح أو فى خلاله ، وخاصة بعد أن تعطلت المواصلات اليها .

وكل ماعنيت به اعداد خطبة مستفيضة ألقاها النحاس فى البرلمان فقابلها النواب والشيوخ بالتهاف والتصفيق .

وجدير بالذكر أن نشير هنا الى انه كان من اهم بواعث الغاء المعاهدة ان القضية المصرية قد انتكست فى وزارة الوفد الاخيرة هذه ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى أن الوفد قد استبان له بعد مفاوضاته المريرة مع الانجليز انهم قد بدوا أكثر تشددا مما كان فى مفاوضات

(١) الميثاق الوطنى .

صدقي ـ بيفن ، وأما ثالث وأهم هذه البواعث فقد ظهر لمفاوضي الوفد أنهم قد تساهلوا في مسائل جوهرية ما كان يجوز لهم ان يسلموا فيها ، ومثال ذلك قبولهم التحالف العسكري بين مصر وبريطانيا ، وقبول الدفاع المشترك في وقت الحرب ، وعودة القوات الانجليزية في وقت الحرب الى منطقة القناة ، والى اية جهة من أراضي القطر المصري حيث يقتضي الدفاع .

ويذكر الاستاذ عبد الرحمن الرافعي : « ومع ذلك لم يفد هذا التساهل شيئا ، وأصر الجانب البريطاني على استبقاء الاحتلال في وقت السلم » ويمضي الاستاذ الرافعي نقلا عن الكتاب الاخضر الذي أصدرته وزارة الوفد في ديسمبر سنة ١٩٥١ : « ويجب أن تعلم (موجها كلامه للفيلد مارشال سليم) ان الجلاء مهم جدا وجوهري واذا تم فاننا سنضع أيدينا في أيديكم ونعمل معكم بقلوبنا وأرواحنا » .

ويمكننا الآن ان نلخص أن الوفد قد أراد بالغاء المعاهدة مجرد عمل يكون له صدى « وفرقعة » ينال بها تأييد الشعب الذي ستغمره الحماسة بالغاء المعاهدة فينسى محاسبة الوفد على تساهله في المفاوضات بل وفشله فيها .

ومن جهة ثانية : اراد الوفد أن يستر سياسة حكومته « الحزبية الجامحة » وكان وسيلته في ذلك الاقدام على الغاء المعاهدة التي سوف يشغل بها الرأى العام باعتبارها قضية وطنية خارجية .

ومن جهة ثالثة . فان الوفد قد اتخذ الغاء المعاهدة كسلاح يقوى به نفسه امام القصر ، وذلك باكتساب تأييد الجماهير لخطوة الالغاء مما يمنع القصر ولو مؤقتا عن اقالة حكومة النحاس

صدى الغاء المعاهدة

أولا ـ في مصر :

استقبل الشعب العربي في مصر الغاء المعاهدة بفيض من الحماسة التي سرت الى افئدة ابناء الشعب الذين اخذوا يستعدون للنضال الوطني والكفاح القومي ضد الانجليز في منطقة القناة وسنرى انه كفاح مشرف من شعب اعزل امام القوات البريطانية الغاشمة .

ثانيا ـ موقف بريطانيا من الالغاء :

صرح هربرت موريسون وزير خارجية بريطانيا حينئذ بأن بريطانيا

ستقابل القوة بالقوة اذا اقتضى الامر لبقاء قواتها فى منطقة قناة السويس، وان الحكومة البريطانية لن تذعن لمحاولة مصر تمزيق المعاهدة .

بل اصدرت السفارة البريطانية فى القاهرة مساء ٨ من أكتوبر سنة ١٩٥١ بيانا أعلنت فيه أن الغاء الحكومة المصرية للمعاهدة من جانبها وحدها عمل غير قانونى ويخالف احكام المعاهدة ، وان الحكومة البريطانية تعتبرها سارية المفعول وتعتزم التسمك بحقوقها بمقتضى هذه المعاهدة.

ثالثا ـ تقدمت حكومات الدول الأربع بريطانيا والولايات المتحدة وفرنســـا وتركيا بمقترحات الى الحكومة المصرية لتكون بديلا من هذه المعاهدة التى الغتها مصر .

ويعلق على هذه المقترحات المشتركة استاذنا عبد الرحمن الرافعى بقوله :

« فالغرض من هذه المقترحات هو ابدال معـــاهدة سنة ١٩٣٦ بمعاهدة لا تختلف عنها فى الجوهر ، وابدال الاحتلال انبريطانى باحتلال دولى تشترك فيه بريطانيا وحلفاؤها وتقبله مصر وترتضيه .

« وتضمنت المقترحات نصوصا تتعلق بقناة السويس ونصوصـــا أخرى عن الســـودان وادارته . وكلتاهما تهدر الجلاء وتقضى على وحدة وادى النيل . وتثبت سيطرة بريطانيا فى السودان »

وفى ١٤ من اكتوبر سنة ١٩٥١ رفضت الحكومة المصرية هـــذه المقترحات اذ وجدت انها تنطوى على اوضاع استعمارية لا تقبلها مصر .

وفى يوم ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٥١ أرسلت الحكومة المصرية رسالة الى السفير البريطانى فى القاهرة ، ومضمون هذه الرسالة ان الحكومة المصرية قد اتخذت بعض الاجرآءات آلتى من شأنها ألا تسرى منذ ذلك اليوم « معاهدة الصداقة والتحالف بين المملكة المصرية وبريطانيـــا العظمى » وكذلك الاتفاق الذى وقع بشأن ما تتمتع به القوات البريطانية حتى الآن من حصانات وامتيازات فضلا عن اتفاقيتى السودان الموقعتين سنة ١٨٩٩ .

« وقد ترتب على الغاء تلك المعاهدة من ناحية حكومة مصر الغاء جميع الاعفاءات المالية التى كانت ممنوحة للسلطات العسكرية البريطانية بمقتضى تلك المعاهدة . الخ »

هذا من ناحية الحكومة

« اما من ناحية الشعب فقد اعتبر مركز الجنود البريطانيين بعد -

الغاء المعاهدة مركز غاصبين محتلين لمنطقة القناة تجب محاربتهم حتى يجلوا عن البلاد .

« ومن هنا بدأ الكفاح فى القناة بعد الغاء المعاهدة يتخذ طورا جديدا ايجابيا » (١)

الكفاح الوطنى فى القناة :

اشتعلت الروح الوطنية فى أفئدة الشعب العربى فى مصر ، فامتنع الشعب عن التعاون مع قوات الاحتلال ، وأعلنوا المقاومة السلبية والايجابية .

وظهر العمال المصريون فى أشرف موقف ، وعاش الشعب العربى فى مصر اعظم ايامه وامجدها . فامتنع العمال عن العمل فى المعسكرات البريطانية ، كذلك امتنع عمال الشحن والتفريغ بموانى مصر عن تقديم عملهم لقوات الاحتلال ورفض عمال السكة الحديدية نقل أى شىء يخص القوات البريطانية . كما انسحب العمال المصريون من المعسكرات البريطانية مضحين بمرتباتهم واجورهم التى هى مورد رزقهم الوحيد .

« وفى الحق ان هذا الاضراب الاجماعى من العمال المصريين وانسحابهم من المعسكرات البريطانية كان له صدى بعيد الأثر فى الداخل والخارج فقد جاء دليلا ساطعا على استعداد الشعب للكفاح وعدم التعاون مع المستعمرين وكان فى الخارج برهانا عمليا على أن قاعدة القناة لم تعد بالمنعة التى كان يظنها الانجليز ، واستبان أن مركزهم فيها سيصبح محفوفا بالمخاطر وعديم الجدوى بين شعب معاد لهم مستعد للتضحية السلبية والايجابية فى سبيل محاربتهم » .

كذلك أوقف التجار والمقاولون والمتعهدون والموردون الذين كانوا يتعاملون مع القوات البريطانية أوقف هؤلاء عملياتهم مع البريطانيين فى منطقة القناة .

ومن جراء هذه المقاطعة الوطنية الرائعة . خسر البريطانيون فى مدى أسبوع واحد أكثر من مليونى جنيه .

وطار صواب القوات المحتلة وهى ترى هذا الشعب العظيم يتحد فى معركته الخالدة ، معركة التحرير الكبرى ، معركة الجلاء عن أرضه المقدسة .

وبسبب هذه المقاطعة الرائعة ونتيجة لها تحرشت القوات البريطانية بالمواطنين وحدثت عدة معارك دموية بين قوات الاحتلال والمواطنين

(١) الاستاذ عبدالرحمن الرافعى « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو » .

الاحرار في مصر . فقامت المعارك في الاسماعيلية وفي بورسعيد ، بل انهم أصيبوا بلوثة عقلية جعلتهم يحتلون كوبرى الفردان ويقتلون جنديين مصريين كانا ضمن القوات المصريه القليلة العدد التى كانت تحرس الكوبرى ، ثم احتلوا جمرك السويس .

« وكانت خطة الانجليز التى رسموها لمواجهة الكفاح الشعبى فى منطقةالقناة ان يستولوا على جميع الأماكن الهامة فى المدن والنقط التى فيها . وعزل هذه المنطقة عن القطر المصرى ، واقامة حكم عسكرى بريطانى غشوم فى انحائها ، ومقاومة كل حركة فيها بالعسف والتنكيل ! ونفذ الانجليز خطتهم فاعتبروا منطقة القناة منطقة بريطانية تحكم عسكريا ، وتجاهلوا السلطات المصرية » .

وكانوا يغتصبون المساكن والأماكن لاسكان جنودهم . وأخذت دورياتهم المسلحة تجوب شوارع بورسعيد والاسماعيلية والسويس مستفزة شعور المواطنين » ، ولم يتورع الانجليز عن ارتكاب أقسى الأساليب العدوانية فى مقاومة حركة الكفاح ، وعزلوا الجيش المصرى فى غزة وسيناء ومنعوا اتصاله بالجيش غرب القناة ، وكانوا يتربصون ببعض فصائل الجيش المصرى المنعزلة ولافراده فيطلقون عليهم النار ، وتمادى الانجليز فى العسف والتنكيل فهددوا بمنع وصول موارد البترول والمازوت والبنزين الواردة من السويس الى بقية المدن والاقاليم » (١)

وعلى العموم فاننا فىمحاولة سرد ما قامت به القوات البريطانية من اعمال وحشية ضد المواطنين فى تلك الايام نحتاج الى مجلدات حتى يمكن ان نوفى هذا الموضوع حقه .

الفدائيون الابطال :

ان مصر كانت دائما عرين الابطال ، ومصنع الرجال ، ومن هنا يمكننا أن نتصور تلك الأعداد الضخمة من رجال مصر ، وخاصة شبابها الذين أقدموا على التطوع فى صفوف كتائب الفدائيين ، وذلك كى يقوموا بواجبهم الوطنى فى محاربة القوات البريطانية المغتصبة والمعتدية على حياة المواطنين .

وتكونت تلك الكتائب فى القاهرة وفى جميع المدن والقرى المصرية ، وكان لهذه الكتائب أعمال مجيدة فى حروبها ضد الانجليز فى منطقة القناة حتى سبب هؤلاء الابطال الذعر للمحتلين . فقاموا بحملات مسعورة يبحثون عنهم وعن أسلحتهم ، ولم تكن وسيلة الشباب هى الحرب بالسلاح فحسب بل كانوا أيضا يحاربون الانجليز بالمنشورات .

ولقد تطوع ضمن أفراد هذه الكتائب بعض القواد والضباط القدماء

(١) الاستاذ عبدالرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

وبعض الضباط العاملين من رجال القـــوات المسلحة المصرية ، وقاموا بتدريب تلك الكتائب على حرب العصابات .

وشملت الروح الوطنية جميع المواطنين ، فساهم الجميع فى التبرع لتلك الكتائب على أنه من المؤسف حقا أن تقرر حكومة الوفد فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٥١ عدم السماح لأية هيئة أو فرد بتدريب الفدائيين أو جمع تبرع لهم - وذلك بحجة أنها (الحكومة) هى التى سوف تتولى الاشراف على تنظيم الكتائب وتدريبها .

ولقد اشتركت الجامعات بشبابها الشجعان فى حروب الفدائيين ضد المحتلين بل وقدمت زهرة هؤلاء الشباب فى ساحة المعركة واستشهد كثير منهم .

ويهمنا هنا أن نقرر ان حكومة الوفد لم تقدم للفدائيين اية معاونة جدية .

ويقول الاستاذ الرافعى فى كتابه « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو : » وبرغم هذه الملابسات فقد كان للفدائيين عمل ايجابى واسع المدى بعيد الأثر فى قتال الانجليز ، فعلى أيديهم تم الاستيلاء على كثـــير من أسلحة الجنود البريطانيين وقتل عدد كبير منهم ونسف بعض المنشـــآت فى المعسكرات البريطانية ومستودعات البنزين والخطوط الحديدية فيها ونســـف بعض القاطرات والســـيارات وقطع المواصلات التلغرافية والتليفونية ومهاجمة قوافل البريطانيين واطلاق النار عليهم فى طريقهم الى معسكراتهم وفى تحركاتهم العسكرية »

ويجدر بنا هنا أن نشير الى انه فى يومى السبت والاحد ١٧ ، ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٥١ وقعت حوادث دامية فى مدينة الاسماعيلية . « وكان الجانب البريطانى هو البادىء فيها بالعـــدوان ، وبدات هذه الحوادث باطلاق البريطانيين النار يوم ١٧ من نوفمبر على رجال بلوكات النظام وهم فى ثكناتهم .. »

ثم حدثت معارك فى السويس فى ٣ من ديسمبر سنة ١٩٥١ وتجددت فى اليوم التالى أيضا

وتم ضرب محافظة الاسماعيلية بالمدافع فى ١٧ من ديسمبر سنة ١٩٥١ ، ثم وقعت الجريمة الوحشية التى ارتكبها البريطانيون فى كفر أحمد عبده بمدينة السويس يوم ٨ من ديسمبر سنة ١٩٥١ . وستظل جريمة كفر احمد عبده باقية بقاء ذكرى دنشواى فى قلوب المصريين .

وفى ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٥١ بدأت المظاهرات العدائية ضد الملك السابق فى الجامعات والمدارس ، وفى الشوارع والميادين .

وكانت هذه المظاهرات انعكاسا لمفاسد ومساوى هذا الملك الفاسد .

واستمرت حركات الكفاح والمقاومة الشعبية ضـــد المحتلين فى القنـــاة .

ووقعت فى يومى الخميس والجمعة ٣ ، ٤ من ينـاير سنة ١٩٥٢ معركة دامية أخرى فى السويس .

ومن المعارك الهامة التى خاضها الفدائيون ضد الانجليز معركة أبى صوير ، ومعركة المحسمة ، ومعركة التل الكبير الشهيرة التى راح ضحيتها عدد من شهداء الجامعات الفدائيين ، وننقل هنا من كتاب الاستاذ الرافعى . نقلا عن التيمس . فى صورة هذه المعركة : « ان معظم الضباط الانجليز الذين اشتركوا فى القتال متفقون على أن المجاهدين المصريين حاربوا ببسالة فائقة على وجه العموم ، وان كثيرا منهم كانوا يصيبون الاهداف اصابة محكمة » .

وفى يوم الجمعة ٢٥ من يناير سنة ١٩٥٢ وقعت المجزرة البشرية بمدينة الاسماعيلية . تلك المجزرة التى دمغت الانجليز بالوحشية . اذ هاجمت القوات ابريطانية قوات البوليس المصرى وسقط من هؤلاء خمسون شهيدا وأصيب منهم ما يقرب من ثمانين جريحا .

وقد دمر البريطانيون دار المحافظة وثكنات البوليس .

وقدر عدد القتلى من البريطانيين بثلاثة عشر من القتلى و ١٢ جريحا .

نتائج كفاحنا الوطنى فى القناة

ويقول الاســـتاذ عبد الرحمن الرافعى : « كان لكفاح الشعب فى القناة صدى بعيدا فى الخارج وكان دليلا مشرفا على حيوية الشعب وتعلقه بالجلاء والحرية ، وكان خير دعاية للقضية المصرية .

« فالتضحيات التى بذلت ايجابية أو سلبية ، والدماء التى ســفكت فى معارك القناة لم تذهب عبثا ، بل ان لها فضلا كبيرا فى جنوح الانجليز الى قبول الجلاء بعد أن كانوا مصرين على رفضه .

« ولقد اعترف الانجليز فى غمرة الكفاح بهذه الحقائق » .

« قال اللورد ستانسجيت فى هذا الصدد فى مجلس اللوردات » « ان القاعدة البريطانية فى منطقة القناة أصبحت لا تصلح عسكريا ، وان الكره الذى يحف بها يجعلها مهددة فلا معنى لبقائها » .

حريق القاهرة

فى يوم السبت ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ حدث حريق القاهرة المروع هذا الحادث المشئوم فى تاريخ مصر ، وكان لاهمال حكومة الوفد وتهاونها فى تداركه أو قمعه أكبر الأثر فيما انتهى اليه هذا الحادث الذى دمر القاهرة ووضع ختاما مؤقتا للكفاح الشعبى المجيد فى منطقة القناة ضد الانجليز عام ١٩٥٢ ٠

أما على من تقع المسئولية فى حريق القاهرة فاننا نترك الميثاق الوطنى يفلسف ذلك فى هذه الفقرات :

« وحريق القاهرة مهما يكن وراءه من تدبير المدبرين كان يمكن اطفاؤه لكن ثورة السخط الشعبى زادته اشتعالا ٠

« ان الفئة المتحكمة فى العاصمة لم تكن تشعر باحتياجات الشعب وكانت غارقة فى حياتها المترفة لا تشعر بعذاب الجموع وآلامها » ٠

« ان شرارة الغضب اشعلت من الحرائق فى القاهرة أكثر مما أشعلت يد التدبير الخفية التى بدأت عملية الحريق » ٠

ونزلت القوات المسلحة المصرية الى شوارع العاصمة فأعادت الأمن والنظام اليها ٠

وكان لهذا الحريق المدمر أعظم الأثر فى تقديم ساعة الصفر لاعلان ثورة الشعب المصرى على النظام الذى حكم مصر منذ سنة ١٩٢١ ٠

وفى هذا المعنى قال قائد ثورتنا ورائد نهضتنا الوطنية الرئيس جمال عبد الناصر : « حرقت القاهرة وحرق معها كفاحنا فى القناة ، ومن ذلك اليوم ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ بدأنا نفقد الصبر ، وبدأنا نفكر فى العمل الايجابى ٠ وآثرنا أن نصرع الفساد قبل أن يصرعنا ، وأن نحطم الطغيان قبل أن يحطمنا » ٠

بداية النهاية

ازدياد تدهور الحياة العامة فى مصر

فى اليوم التالى لحريق القاهرة أى فى يوم الأحد ٢٧ من يناير سنة ١٩٥٢ أقيلت الوزارة الوفدية ٠

ومنذ ٢٧ من يناير سنة ١٩٥٢ الى ٢٢ من يوليو سنة ١٩٥٢ تعاقبت على البلاد أربع وزارات هى :

١ ــ وزارة على ماهر (٢٧ من يناير ــ الأول من مارس سنة ١٩٥٢)٠

وتميزت هذه الوزارة بأنهـــا « وزارة تهدئة الكفاح الوطنى » ففى ظلها توقف كفاحنا الوطنى فى القناة، وأمرت بسحب الفدائيين من المنطقة، بل ان تلك الحكومة كانت قد اعتقلت كثيرا منهم ٠

كما استؤنفت أعمال الشحن والتفريغ للقوات البريطانية المحتلة فى موانى القناة ٠ « على أن « على ماهر » سعى مع ذلك فى استئناف المفاوضات لتحقيق أهداف البـلاد وفى مقدمتها الجـلاء ووحدة الوادى ، وقـد حدد لبدء المباحثات التمهيدية مع السفير البريطانى (ستيفنسون) يوم الأول من مارس سنة ١٩٥٢ ، وقد استقالت الوزارة فى هـذا اليوم نفسه دون أن تحدث مباحثة أو مقابلة » (١) ٠

٢ ــ وزارة أحمد نجيب الهلالى الاولى : (الاول من مارس ــ ٢٨ من يونيو سنة ١٩٥٢) ٠

وبالنسبة لقضية الجلاء ، فان الهلالى لم يوفق فى مسعاه . ولا حتى فى مسعاه بالنســبة لوحدة وادى النيل ، اذ بدا على الحـكومة البريطانية اصرارها على التشـدد فى موقفهـا بالنسبة لقضيتى الجـلاء ووحدة وادى النيل ٠

٣ ــ وزارة حســين سرى : (٢ من يوليـو ــ ٢٠ من يوليـو ســنة ١٩٥٢) ٠

لم تستطع هذه الوزارة أن تقوم بأية خطوة أو أن تكون منهجـا أو حتى تصرح تصريحا بشأن الجلاء ووحدة وادى النيل . وذلك يعود بلا أدنى شك الى مدة حكمها القصير الذى لم يدم سوى تسعة عشر يوما ٠

ولكن حدث فى عهدها « أزمة نادى ضباط الجيش » ٠ ومن جراء هذه الازمة أن اشتد الخلاف بين (الوزارة) وبين السراى حيث لم ترض هذه الوزارة أن تقـــوم باذلال الجيش ارضــــاء للملك الســـابق فقـــدمت استقالتها ٠٠ » (٢)

٤ ــ وزارة الهلالى الثانية: (٢٢ من يوليو ــ ٢٣ من يوليو ١٩٥٢)٠

هذه الوزارة لم تدم فى الحكم سوى ساعات ٠

وكانت هى رابعة وزارة تؤلف منذ حريق القاهرة أى فى مدة لاتتعدى ستة أشهر فقط (١٧٩ يوما) ، وكان ذلك الأمر أبلغ وأوضح صورة لعدم استقرار الحكم وللفوضى التى عمت البلاد وقتئذ ٠

(١) ، (٢) الاستاذ عبدالرحمن الرافعى : « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ »

ولقد اعتبرها ـ بحق ـ أستاذنا الرافعي : « ٠٠٠ عودة الحكم المطلق في نوع من أنواعه ، وهـذا النظام (نظام وزارات الموظفين) ينطوي على عودة الحكم المطلق كما أسلفنا ، وفيه تحطيم للحياة السياسية في البلاد فهذا رجوع الى الوراء ونكسة في الحياة القومية ٠

« ولقد كانت السياسة من البواعث على انحدار نظام الحكم في البلاد ومن الأسباب التي أدت آخـر الأمر الى سـقوط فاروق وسقوط عرشـه وأسرته جميعا » ٠

ووزارة الهلالي الثانية لم تدم أكثر من ثماني عشرة ساعة في الحكم٠ إذ عاجلتها ثورتنا الكبرى في « ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ » ٠

وهـكذا طويت صفحة من تاريخنـا ، صفحة اتسمت في غالبيتهـا بالتهريج السياسي حتى ظهر لكثير من الناس أن النظام الذي حـكم مصر من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٥٢ بأجزائه من سراى وأحزاب وبرلمانات ليس بقادر على مواصلة الحكم بشكله البالي ، وسرعان ماتداعى هذا النظام بأكمله وفي سرعة أثبتت عدم جدوى محاولات الترميم ٠

وعلى ذلك وفي رعاية الله خرجت الطلائع الثورية التي جندها النضال الشعبي لخدمته من داخل الجيش في يوم ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ ٠

ومنذ ذلك اليوم الخالد ، يوم ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ بدأ الشعب العربي في مصر صفحة مجيدة وجديدة في تاريخ نضـاله القومي الذي يستهدف آماله الكبرى ومطالبه العادلة ٠

الباب الرابع

الثورة العربية الاشتراكية (٢٣ يوليه ١٩٥٢)

الفصل الأول

أسباب الثورة وأهدافها

تمهيد :

نتناول فى هذا الباب ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ من زاوية خاصة استدعاها موضـــوع هذا الكتاب · ألا هو « الجـــلاء » الا أن ذلك لم يمنعنا من التعرض لبعض المجالات التى واجهتها ثورتنا المجيدة ، وذلك لن يكون الا فى الحدود التى يقتضيها البحث ·

***

فى صبيحة يوم الاربعاء ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ استيقظ الشعب العربى فى مصر وقد أحس بشيء جديد فى حيـــاته ، شيء طالما هفت اليــه نفسه · أحس أفراد الشعب العربى فى مصر فى ذلك اليوم المجيد بالثورة تملأ نفوسهم وتدفعهم الى طريق الخـــلاص الذى يعنى تغيير حياتهم تغييرا أساسيا وعميقا فى اتجاه آمالهم الانسانية الواسعة · الخالصة من قيود الاستغلال والتخلف فى جميع صورها المادية والمعنوية ·

والأسباب العامة العريضة لثورتنا الكبرى هذه كثـــيرة وهى اذا ما قربنـــاها بعضها الى بعض فانها تبدو فى صورة : أســـباب سياسية وأسباب اقتصادية ثم أسباب اجتماعية ·

ونحن اذ نتناول هذه الاسباب فى ايجـــاز مراعاة لظروف البحث وموضوعه فاننا نستطيع أن نستبين حدود هـــــذه الاسباب فيما أورده الدكتور وليد قمحاوى فى مؤلفه النكبة والبناء بالجزء الثانى، فهو يقول عن هذه الأسباب أو الظروف التى قامت فى ظلها وبسببها ثورة ٢٣ يوليو :

« ونحن حين ندقق النظر فيما مضى ، فى سنة ١٩٥٢ نجـد الشعب العربى فى مأساة اذ يعيش واقعه اللا انسانى تحت أقدام الغزاة (ورحمة) المستغلين تقيده الرجعية وتنهك قواه شتى العلل المـــادية والمعنوية ، وفى قلب الوطن العربى ، فى مصر تستكمل المأساة صورتها ، لأنهـــا تجمع بين أسوأ ما هو كائن وأعظم ما يمكن أن يكون ، بين أسوأ الاحتمالات وأعظم الامكانيات : الاستعمار البريطانى جاثم على صدر مصر بقـــواه المسلحة ونفوذه السياسى وتغلغله الاقتصادى ، والأسرة المالـــكة وكبار الاقطاعيين

والرأسماليين سواسية فى استغلال جهود الشعب وخيرات البلد وتسخير الجهاز الحكومى لخدمة مآربهم ۰ والفئة الواعية من الشعب تتخبط من أقصى اليمين الى أقصى اليسار تنفس عن مكبوت نقمتها بالمظاهرات والاغتيالات وشتى وسائل التعبير ، وجاءت كارثة فلسطين وفضائحها تكشف المساوى الدفينة ، فتزيد الأوضاع تأزما وتعمق التناقضات الموجودة وتضاعف التوتر النفسى فى وجدان الشعب ، واذ بهذه كلها تعلن عن وجودها فى صور متلاحقة من الاضطرابات فى كل ميدان ۰

تدهور فى الأوضاع الاقتصادية كما يبدو فى غلاء تكاليف المعيشة ، وازدياد البطالة وانخفاض الانتاج الصناعى ، وخسران الميزان التجارى بمقدار ٨٠ مليونا من الجنيهات ، وعجز الميزانية عن أكثر من ٢٦ مليون جنيه ۰

تدهور الأوضاع الاجتماعية كما يدل عليه احتدام الصراع الطبقى واستشراء الخصومات والجرائم ، وثورة الفلاحين والاجراء على كبار الاقطاعيين واضطرابات العمال وتغلغل العصبية الحزبية الهدامة ۰

تدهور الأوضاع السياسية كما يشير اليه فساد جهاز الحكم وعدم استقراره وفقدان الثقة وتزعزع هيبة القانون والامن والنظام !

وينطلق الفدائيون يحاربون الاستعمار فى قاعدته فى قناة السويس أفرادا أبطالا لا جماعة منظمة ويضرب الاستعمار احدى ضرباته اللئيمة فيسفك دماء سبعين شرطيا فى الاسماعيلية ، وتحترق القاهرة ، اشعلت نيرانها النقمة الحبيس والغريزة الدفين فى نفوس جائع مظلوم ومنحرف مسعور وحاكم موتور ، ومضت الأحداث متلاحقة متسارعة نحو الهاوية »۰

« لولا أنه فى حياة الشعوب أجيال يواعدها القدر ، ان هذه الأجيال الموعودة تعيش لحظات رائعة ، انها تشهد لحظات انتصار عظيم لم تصنعه وحدها ، ولم تتحمل تضحياته بمفردها ، وانما هى تشهد النتيجة المجيدة لتفاعل عوامل أخرى كثيرة ، واصلت حركتها فى ظلام الليل ووحشته ، وعملت وسهرت وظلت تدفع الثوانى بعد الثوانى الى الانتقال العظيم ساعة الفجر (١) » ۰

ولم تكن ساعة الفجر هذه الا ثورة « ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » العظيمة ۰

وبزغ جمال عبد الناصر الذى عاش واقع حياتنا ، ووعى ما فى واقعنا من مساو ومظالم وتناقضات ، وآمن بوجوب الثورة وتغيير الأوضاع ، وكان هذا هو أمل الملايين من أبناء الوطن ۰

(١) الرئيس جمال عبدالناصر

وهكذا ، « كان الشعب بوجدانه الخالد هو الذى خلق الثورة وأنجب جمالا » .

وبدأت مصر تشهد المواجهة الثورية المجيــدة لمطالب الشعب العامل فيها .

ومضى الشعب المصرى فى طريق الثورة رافعا رأسه بالايمان والكرامة « مصمما على مجابهة الصــعاب والأخطار والظلام عاقدا العزم فى غير تردد على احراز النصر توكيدا لحقه فى الحياة مهما كانت الأعباء والتضحيات » .

وأعلنت الثورة عن مبادئها، هذه المبادىء المجيدة التى أسلمها النضال الشعبى المتواصل الى طلائعه الثورية التى خرجت يوم ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ للتصدى لمسئولية العمل الثورى على هدى من هذه المبادىء الستة .

أما « المبادىء الستة المشــهورة التى نحتتها ارادة الثورة من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته فهى :

١ ـــ فى مواجهة جيوش الاحتلال البريطانى الرابضة فى منطقة قناة السويس كان المبدأ الأول هو :

(القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين) .

٢ ـــ فى مواجهة تحكم الاقطاع الذى يستبد بالأرض ومن عليها كان المبدأ الثانى هو : (القضاء على الاقطاع) .

٣ ـــ فى مواجهة تسخير موارد الثروة لخدمة مصــالح مجموعة من الرأسماليين كان المبدأ الثالث هو : (القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم) .

٤ ـــ فى مواجهة الاستغلال والاستبداد الذى كان نتيجة محتمة لهذا كله كان المبدأ الرابع هو : (اقامة عدالة اجتماعية) .

٥ ـــ فى مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيش واستخدام ما تبقى من قوته لتهديد الجبهــة الداخلية المتحفــزة للثورة كان الهدف الخــامس هو : (اقامة جيش وطنى قوى) .

٦ ـــ فى مواجهة التزييف السياسى الذى حاول أن يطمس معالم الحقيقة الوطنية كان الهدف السادس هو : (اقامة حياة ديموقراطية سليمة) (١) .

ان تلك الأحداث العظيمة لم تكن سوى « دليــل للعمل يمثل عمق

---

(١) الميثاق الوطنى .

هذه الارادة الثورية ويلبى احتياجاتها ويبرز تصميمها على بلوغ الشـوط الى مداه «وراح الشعب» يطور المبادىء الستة ويحركها بالتجربة والممارسة وبالتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثرا به وتأثيرا فيه نحو برنامج تفصيلى يفتح طريق الثورة الى أهدافها اللا متناهية » .

وهـكذا كان « يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ موعدا لهـذا التفجير الثورى » الذى كان يكمن فى جوانحه .

فمضى الركب الثورى يحقق الأهداف والأمانى العريضة للجمـاهير العاملة من الشعب العربى فى مصر .

وتم للكفاح الوطنى النجاح حين طرد فاروق رأس الفساد ، ثم قضى على الحزبية البغيضة ، وأصدر قانون تحديد الملكية الزراعية ، فتم القضاء على الاقطاع ونجحت الثورة فى القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وكان كل ذلك تمهيـدا لطريق الثورة نحو اقامة عدالة اجتماعية ، كما استـطاعت الثورة اقامة جيش وطنى قوى حين كسرت مصر سـياسة الغرب واحتكاره لتوريد السلاح .

وفى النصف الاخير من سنة ١٩٥٤ تم التوصل الى اتفـاقية لجلاء القوات البريطانية عن مصر .

ولما كان الجلاء هو موضوع الكتاب، وهو فى الوقت نفسه المبدأ الأول للثورة فاننا نتناوله بالتفصيل فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

الثورة وقضية الجلاء

علمنا فيما سبق كيف الغت الحكومة المصرية معاهدة ١٩٣٦من جانب واحد ورأينا أيضا كيف احتجت بريطانيا على هذا الالغاء ، ولم تعترف به ثم رأينا مصر تصم آذانها عن الاحتجاجات البريطانية بسبب الالغاء ، ولقد حاولت بريطانيا مع أمريكا وفرنسا وتركيا أن تجر مصر الى اتفاقية تقيدها بالمعسكر البريطانى الامريكى ، ولكن مصر رفضت المقترحات الخـاصة بذلك ٠

وفى الفصل السابق أوردنا موجزا لأسباب وأهداف ثورة «٢٣ يوليو ١٩٥٢ » وسنرى فى هذا الفصل الذى نقسمه خمسة أقسام كيف استطاعت ثورتنا المبدعة الشاملة التى عبرت عن مشاعر الشعب جميعه ، وعن رغباته كلها أن تحقق الجلاء مرتين فى عام واحد ٠

القسم الاول

الثورة تطلب من الاحتلال الجلاء عن الوطن

لكي نفهم كيف كان تصميم الثورة على تحقيق الجـــلاء هو أول أهدافها . أقدم هنـا أول تصريح سياسى للثـائر المبدع الرئيس جمـال عبد الناصر . فقد صرح لجريدة نيويورك هيرالد تريبيون بكلمات قصيرة نشرت يوم ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٥٢ وهزت أرجاء الدنيا وقد عبرت تلك الكلمات عن موقف الثورة من الاحتلال .

قال الرئيس فى عبارات ثورية مؤمنة هائلة :

« اننا على أتم استعداد لأن نكون معقولين ، ولكن الانجليز مثلا قد وعدونا طيلة السبعين عاما الماضية بأن يخرجوا من منطقة قنـاة السويس ولم يخرجوا ، ان مصر لا تستطيع اليوم أن تطيـــق مزيدا من المماطلة والتسويف ، واذا شعرت حكومة العهد الجديد أنه بعد هذه الجهود المتصلة التى نبذلها لم نصل الى تخليص بلادنا من الاحتـلال البريطانى فثقوا أن قواد الثورة سوف ينسحبون من الحكومة ليستعدوا لقيادة الشعب فى حرب ضد الانجليز ، ولن تكون هذه الحرب رسمية وانما ستكون حربا فدائية ، سوف تكون حرب عصابات، سوف تلقى القنابل اليدوية فى جنح الظلام، سوف يغتال الجنود الانجليز فى الشوارع ، سوف تنتشر أعمال الفدائيين بطريقة تشعر الانجليز أنهم يدفعون ثمنا غاليا لاحتلال بلادنا ، وعلى أسوأ الحالات سيكون كفاحنا أشبه بقصة شمشون التى روتها التوراة ، سوف نحطم المعبد على رءوسنا ليصيب رءوس أعدائنا القائمين بيننا أيضا !! »

« وبعد أفليس يكفى الشعب العربى فى مصر فخرا أن يكون له مثل هذه الارادة الثورية الحرة الصريحة التى تعلن عزمهـا الأكيد على اجلاء الاحتلال البريطانى عن مصر ؟ والعظيم فى الأمر أن يعلن قائد الثورة ذلك بعد أقل من شهرين من قيام الثورة المجيدة فى « ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ » .

ومن هذا التصريح الثورى الشجاع يتضح لنـا ايمان ثورتنـا بحق الشعب فى الحياة الحرة الكريمة ، كما أن ذلك دل على أن الثورة لن ترضى

عن مماطلة الانجليز وتسويفهم فى مسألة الجلاء ، بل انها متى وجدت هذا التسويف من الانجليز فان قادة الثورة الرجال الأحرار « سوف ينسحبون من الحكومة ليستعدوا لقيادة الشعب فى حرب ضد الانجليز » . فى حرب فدائية ... الخ .

وهكذا تميزت ثورة « ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ » بواقعيتهـا وثوريتها العنيدة فى نظرتها الى المسائل السياسية والاجتماعية أيضا .

والجدير بالذكر أن الثورة المجيدة فى خضم التحديات التى واجهتها لم تنس السودان الشقيق .

ففى يوم ١٢ من فبراير سنة ١٩٥٣ استطاعت الثـــورة أن ترغم الانجليز على توقيع اتفاق السودان وذلك « بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير » .

وسبق لنا أن أوضحنا كيف ألغت حكومة الوفد معـــاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنة ١٨٩٩ كما سبق أن رأينـــا عدم اعتراف انجلترا بهذا الالغاء .

فلما قامت ثورتنا فى « ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » بدأت المحادثات بينهـا وبين الانجليز وانتهى الأمر بوضع « اتفاق ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ » .

«وخلاصة أحكام هذا الاتفاق تحديد فترة انتقال يتوافر للسودانيين فيها الحكم الذاتى الكامل ، وتعتبر هذه الفترة تمهيدا لانهاء الادارة الثنائية وتصفية هذه الادارة ، واحتفظ الطرفان (مصر وبريطانيا) فى أثناء فترة الانتقال بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير المصير ، ويكون للحاكم العـام فى أثناء فترة الانتقـال السلطة الدستورية العليـا داخل السودان ويمارس سـلطاته وفقا لقانون الحكم الذاتى الذى اتفق عليـه الطرفان بمعاونة لجنة خماسية تؤلف من اثنين من السودانيين وعضو مصرى وعضو بريطانى وعضو باكستانى .

« وتقرر الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه اقليما واحدا مبدأ أساسيا للسياسة المشتركة للحكومتين المصرية والبريطانية ، وتقرر تأليف جمعية تأسيسية منتخبـة لتقرير مصير السـودان ، ونص على أن يتقرر مصـير السودان :

(أ) اما بأن تختار الجمعية التأسيسية إرتباط السودان بمصر على أية صورة .

(ب) واما بأن تختـار الجمعيـة التأسيسية الاستقلال التـام ، وأن

تنسحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور اصدار قرار البرلمان السودانى رغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير لتقرير المصير .

« وتعهدت الحكومتان المتعاقدتان باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان وأن تقوم كل منهما باتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار .

« وعدل مشروع قانون الحكم الذاتى الذى وضعه الانجليز تعديلا لمصلحة السودانيين » (١) .

هذا وقد تضمن الاتفاق الذى أبرم بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير فى السودان بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة أربعة ملاحق ، يحدد أولها وظائف وسلطات لجنة الحاكم العام ، كما يحدد الثانى وظائف وسلطات لجنة الانتخابات ، ويحدد الملحق الثالث وظائف وسلطة لجنة السودنة ، ويشمل الملحق الرابع التعديلات التى تدرج بمشروع الحكم الذاتى وفقا للاتفاق .

ولا ريب أن هذا الاتفاق خلق جوا نفسيا عاون على تسوية مشكلة انسحاب القوات البريطانية من القناة .

وكان هذا الاتفاق ثمرة ٢٣ اجتماعا : تسعة منها عامة و١٤ فرعيا

وبينما العالم ينظر الى هذه الاتفاقية على أنها حدث عظيم لم يسع صحيفة «الدايلى تلغراف» البريطانية المحافظة الا أن نعتت الاتفاق بأنه عمل عظيم يدل على ثقة بحسن نية الحكومة المصرية .

هذا ــ على حين تنعى «الدايلى اكسبريس» ماأصاب بلادها من جراء هذا الاتفاق وراحت تتهم البريطانيين بأنهم سلموا السودانيين للمصريين ولم تكن هذه الا مغالطة استعمارية يكذبها الاتفاق نفسه .

وهكذا أثبتت القيادة الرشيدة للثورة أنها « لم تتشبث بالمظاهر والترهات وانما عملت وفق مبـدأ واحد : أن تكسب السودان أخا حرا صديقا » (٢) .

وبعد أن تم للثورة المجيدة هذا النجاح الباهر فى توقيع اتفاقية السودان فى ١٢من فبراير سنة ١٩٥٣أى بعد مرور بضعة شهور مضت الثورة فى طريقها نحو آمالها الواسعة فى زحف مقدس عظيم .

(١) الاستاذ عبدالرحمن الرافعى : (ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تاريخنا القومى في سبع سنوات ١٩٥٩/٥٢ م) .
(٢) الدكتور وليد قمحاوى : « النكبة والبناء في الوطن العربى » .

وفى طريق السير نحو الجلاء أعلن الرئيس جمـال عبد الناصر فى ١٩٥٣/٢/٢٣ فى المؤتمـر الشعبى بشبين الـكوم وهو يلقى ببصره الى ساحة الشهداء فى دنشواى انهاء الاستعمار وقال كلمته الخالدة : « اما أن يحمل الاستعمار عصاه على كاهله ويرحل ، أو فليستعد للقتال حتى الموت دفاعا عن بقائه ! ».

وكانت كلمة شعب وارادة أمة ، فاستجاب لهـا الله واهب الحياة ومعطى الحرية ٠

وفى ١٥ من مارس ١٩٥٣ طلب الرئيس جمال عبد الناصر من الشعب الاستعداد للكفاح ضد المستعمرين حتى يتم الجلاء ٠

ازاء ذلك كله وبسببه اقتنعت بريطانيا بأنها ازاء شعب متحد خلف حكومة ثورية تطالب بالجلاء ، ومن ثم بدأت مباحثات الجلاء مع الثورة ٠

وفى ٦ من مايو سنة ١٩٥٣ توقفت المباحثات بين مصر وبريطانيا ، ولجأت بريطانيا « الى التهديد والوعيد ، ونصحت رعاياها بالرحيل عن مصر ، وكان ذلك ايذانا بالضـغط على مصر ، فاسـتعدت حـكومة الثورة لتنظيم المقاومة المسلحة فى القناة والقضاء على الطابور الخامس الذى كان يترقب الفرصة فى اخفاق مباحثات الجلاء » (١) ٠

ولقد كان أهم ما يميز المباحثات فى تلك الفترة يقظة الجانب المصرى الثورى الذى كشف عن نوايا بريطانيا الخفية ، فنجد أن الجـانب المصرى يتمسك بتوضيح الأسس والمبادىء قبل المضى فى البحث الفنى على حين يريد الانجليز أن تكتب التعليمات بصورة عامة اجمالية للجان الفنية ٠

وفى ٢١ من مايو سنة ١٩٥٣ سحبت بريطانيـا سفيرها من مصر ، فمنحت السير رالف ستيفنسون اجازة مرضية يقضيها فى لندن، وانتدبت روبرت هانكى وزيرها المفوض فى المجـر للقيـام بأعمال ستيفنسون فى القاهرة ، ومن المعلوم أن حكومة مصدق كانت قد رفضت تعيينه سـفيرا لبريطانيا فى طهران وقت اشتداد الأزمة هناك ٠

ولقد أدلى جمال عبد النـاصر فى يوم الجمعة ٢٢ من مايو ١٩٥٣ بتصريح جاء فيه :

« لقد وصلت قضية الوطن الى مرحلة رأى معها الانجليز أن يشنوا علينا معركة لا هوادة فيها من معارك الحرب الباردة والضغط المعنوى على الأعصاب ، ولكن الانجليز سوف يخسرون هذه المعركة لأن قضيتنا قضية

(١) مرجع الاستاذ عبدالرحمن الرافعى .

الحق ، وموقفنا فيها هو موقف المتمسك بحقه المؤمن به المستعد للدفاع عنه ، ولن تلهينا هذه المسرحيات عن الحقيقة الكبرى وهى وجوب رحيل جيش الاحتلال » ٠

وفى ١٣ من يوليو سنة ١٩٥٣ تراجعت السلطات البريطانية بعد فشل مناوراتها بانذار احتلال الاسماعيلية بعد أن رفضت حكومة الثورة انذارا بريطانيا حول اختفاء الجندى البريطانى (رجدن) ، وكان نص الانذار كما يلى :

« تأكيدا لزيارتى لكم (يقصد وكيل محافظة الاسماعيلية) أمس ١٩٥٣/٧/١١ لقد أمرنا جنرال فستنج ابلاغكم أنه يهتم اهتماما بالغا بحادث اختفاء أحد رجال الطيران المدعو رجدن من الاسماعيلية يوم ٩ من يوليو الجارى ، وانى أبلغكم أن جنرال فستنج يحتفظ لنفسه بحق اتخاذ أى اجراء يراه ضروريا اذا لم يعد هذا الجندى مباشرة الى السلطات البريطانية ، واذا لم يعد هذا الرجل فى موعد أقصاه الساعة ٩ من صباح الاثنين الموافق ١٣ من يوليو فستتخذ اجراءات شديدة من شأنها احداث حالة ذعر خطيرة تمس المدنيين المصريين فى الاسماعيلية ٠

امضاء : قائد المنطقة الشمالية جوردن »

فعقد المرحوم الصاغ صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الارشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان وقتئذ مؤتمرا وكان ذلك فى الساعة ١٠ر٣٠ من مساء الاحد ٥٣/٧/١٣ وصرح قائلا :

لقد اختفى جندى عادى من الخمسة والثمانين ألف جندى الذين يحتلون منطقة القناة ، وهذا يحدث فى كل وقت بين العسكريين والمدنيين، غير أننا نواجه حدثا خطيرا ضد سيادتنا واستقلالنا وسننتظر غدا ، ونرى ما الاجراءات الشديدة التى سيتخذها القائد البريطانى فى الاسماعيلية ؟

ولقد أصدرنا الأوامر الى وكيل المحافظة بأن يرفض هذا الانذار فليس لأحد أن يقدم مثل هذا الانذار وخاصة من شخص يمثل الاحتلال القائم ضد ارادة البلاد ٠

وهل نحن مسئولون عن حماية جنودهم؟٠ ومن ثم تراجعت السلطات البريطانية بعد فشلها فى مناوراتها حين أنذرت الاسماعيلية ، وأخيرا عرف العالم أن قصة رجدن مؤامرة بريطانية مدبرة لاثارة القلاقل فى مصر ٠

ثم اتخذت الثورة خطوات ايجابية ثورية أخرى لتحقيق الجلاء ٠ ومن ذلك أنها أصدرت فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٥٣ قانونا بانشاء الحرس الوطنى ليكون عونا للجيش الأساسى فى الذود عن استقلال الوطن ، كما

أن انشاء هذا الحرس كان وسيلة تربوية عسكرية لخلق جيل صاعد شجاع متعود الحياة العسكرية الشريفة .

وضغطت حكومة الثورة على بريطانيا بطريقة عملية واعية اذ أنه فى يوم ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩٥٣ أصدرت الحكومة قرارا بحظر التعامل وتداول المواد الغذائية مع القوات البريطانية المرابطة فى منطقة قناة السويس .

وخطب الرئيس جمال عبد الناصر فى طنطا يوم الاول من يناير سنة ١٩٥٤ وقال : ان الاستعمار لن يخرج من بلادنا بمجرد الكلام ولكن بالقوة .

وفى مارس سنة ١٩٥٤ كان البريطانيون قد أصبحوا فى محنة شديدة وذلك نتيجة للمقاومة الشعبية السلبية والايجابية التى نظمتها الثورة ضدهم وفقد البريطانيون (برودهم) وصاروا يشتبهون فى كل من يحيط بهم . بل تعدى الأمر ذلك فاعتدت تلك القوات المحتلة على المدنيين المصريين فى منطقة القناة .

واحتجت الحكومة المصرية فى ١٨ من مارس على تلك الاعتداءات الوحشية .

وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن الشعب المصرى مستعد الآن وكان ذلك فى ١٩٥٤/٣/٢٢ لمواجهة الانجليز فى القناة ، ولكن الحكومة لا تعارض اجراء مفاوضات للجلاء عن مصر .

ولكن ايدن الذى لم يكن قد ذاق مرارة هجمات الفدائيين ضد جنوده فى منطقة القناة أعلن فى ١٩٥٤/٣/٢٣ أن استئناف المباحثات بين مصر وبريطانيا بشأن الجلاء غير ممكن فى الوقت الحاضر بسبب الحوادث المستمرة ضد الجنود الانجليز .

وفى الثانى من أبريل سنة ١٩٥٤ قدمت بريطانيا مشروعا جديدا لتسوية مشكلة منطقة القناة باعتبار منطقة القناة غير عسكرية واحلال ادارة دولية مدنية محل الفنيين العسكريين البريطانيين .

استئناف مفاوضات الجلاء :

استؤنفت هذه المفاوضات فى يوم ١١ من يوليو سنة ١٩٥٤ بين الجانب المصرى برياسة الرئيس جمال عبد الناصر والجانب البريطانى برياسة رالف ستيفنسون سفير بريطانيا فى مصر فى ذلك الوقت .

هذا ولقد تم فى تلك المفاوضات ازالة العقبات التى كانت تعترض سبيل المباحثات وانتهى الأمر بتوقيع اتفاقية الجلاء .

القسم الثانى

اتفاقية أكتوبر سنة ١٩٥٤

انتهى الجانبان المصرى والبريطانى الى عقد اتفاقية الجلاء الأولى فى ٢٧ من يوليــو ١٩٥٤ وقد أصدرا بلاغا مشــتركا جاء فيه : ان الرئيس « جمال عبد الناصر » ووزير حربية بريطانيا قد وقعا بالحروف الأولى من أسمائهما على الخطوط الرئيسية للاتفاق الذى يتضمن المبادىء المقترح اعداد الاتفاق النهائى وتنظيم الجلاء على أساسها ٠

الاتفاق النهائى على الجلاء :

وفى ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وفى البهو الفرعونى بمجلس الأمة تم توقيع الاتفاق النهائى التفصيلى لتنظيم عملية الجلاء ٠

ونورد فيما يلى ملخصا لأحكامه :

بمقتضى هذا الاتفاق تقرر انهاء الاحتلال البريطانى كما تنص هذه الاتفاقية على جلاء القوات البريطانيــة جلاء تاما عن الأراضى المصرية خلال فترة عشرين شهرا من تاريخ التوقيع على الاتفاق ٠

ونصت الاتفــاقية على انقضــاء معــاهدة التحالف الموقع عليهــا فى ١٩٣٦/٨/٢٦ وكذلك المحضر المتفق عليه والمذكرات المتبـــادلة والاتفاق الخاص بالاعفاءات والميزات التى كانت تتمتع بها القوات البريطانية فى مصر وجميع ما تفرع عنها من اتفاقات أخرى ٠

كما جاء فى الاتفاقية انتقال ملكية جميــع المطارات والمنشئات الى الدولة وخضوع الفنيين البريطانيين الموجودين خلال فترة الجلاء للقوانين المصرية ٠

واقرت الحكومتان المصرية والبريطانية فى المــادة الثامنة من هــذه الاتفاقية أن قناة السويس البحرية التى جزء لا يتجزأ من مصر طريق مائى له أهميته الدولية من النواحى الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية ٠

ونصت الاتفــاقية على أن مدة هــذا الاتفاق سبع سنوات من تاريخ

توقيعه ، وتتشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهرا الأخيرة من تلك المدة لتقرير ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق · وعلى بريطانيا أن تنقل أو تتصرف فيما قد يتبقى لها وقتئذ من ممتلكات فى القاعدة ما لم تتفق الحكومتان على مد هذا الاتفاق ·

هذا وزيادة فى الايضاح لهذه الاتفاقية الخالدة فى سجل تاريخ حركاتنا ونضالنا القومى نورد فيما يلى نص وثيقة اتفاقية الجلاء :

اتفاق الجلاء ـ الاتفاق النهائى

بين حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة

١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤

« ان حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمالى ايرلندة اذ ترغبان فى اقامة العلاقات المصرية الانجليزية على أساس جديد من التفاهم المتبادل والصداقة الوطيدة قد اتفقتا على ما يلى :

مادة ١

تجلو قوات صاحبة الجلالة جلاء تاما عن الأراضى المصرية وفقا للجدول المبين فى الجزء رقم (أ) من الملف رقم ١ خلال فترة عشرين شهرا من تاريخ التوقيع على الاتفاق الحالى ·

مادة ٢

تعلن حكومة المملكة المتحدة انقضاء معاهدة التحالف الموقع عليها فى لندن فى السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٦ ، وكذلك المحضر المتفق عليه والمذكرات المتبادلة ، والاتفاق الخاص بالاعفاءات والميزات التى تتمتع بها القوات البريطانية فى مصر وجميع ما تفرع عنها من اتفاقات أخرى ·

مادة ٣

تبقى أجزاء من قاعدة قناة السويس الحالية وهى المبينة فى المرفق (أ) بالملحق رقم ٢ فى حالة صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فورا وفقا لأحكام المادة الرابعة من الاتفاق الحالى ، وتحقيقا لهذا الغرض يتم تنظيمها وفق أحكام الملحق رقم ٢

مادة ٤

في حالة هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية الموقع عليها فى القاهرة فى الثالث عشر من شهر أبريل سنة ١٩٥٠ أو على تركيا تقدم مصر للمملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وادارتها ادارة فعالة ، وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانى المصرية فى حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض السالفة الذكر ٠

مادة ٥

فى حالة عودة القوات البريطانية الى منطقة قناة السويس وفقا لأحكام المادة (٤) تجلو هذه القوات فورا بمجرد وقف القتال المشار اليه فى تلك المادة ٠

مادة ٦

فى حالة حدوث تهديد بهجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا يجرى التشاور فورا بين مصر والمملكة المتحدة ٠

مادة ٧

تقدم حكومة جمهورية مصر تسهيلات مرور الطائرات ، وكذا تسهيلات النزول وخدمات الطيران المتعلقة برحلات الطائرات التابعة لسلاح الطيران الملكى التى يتم الاخطار عنها ، وتعامل حكومة جمهورية مصر هذه الطائرات فيما يتعلق بالاذن بأية رحلة لهـا معاملة لا تقل عن معاملتها لطائرات أية دولة أجنبية أخرى مع استثناء الدول الأطراف فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية ، ويكون منح التسهيلات الخاصة بالنزول وخدمات الطيران المشار اليها آنفا فى المطارات المصرية فى منطقة قاعدة قناة السويس ٠

مادة ٨

تقر الحكومتان المتعاقدتان أن قناة السويس البحرية التى هى جزء لا يتجزأ من مصر طريق مائى له أهميته الدولية من النواحى الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية وتعربان عن تصميمهما على احترام الاتفاقية التى

تكفل حرية الملاحة فى القناة الموقع عليهـــا فى القسطنطينية فى التاسع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٨٨٨ ٠

مادة ٩

(أ) لحكومة المملكة المتحدة أن تنقل أية مهمات بريطانية من القاعدة أو اليها على حسب تقريرها ٠

(ب) لا يجوز أن تتجاوز المهمات القدر المتفق عليه فى الجزء (جـ) من الملحق رقم ٢ الا بموافقة حكومة جمهورية مصر ٠

مادة ١٠

لا يمس الاتفاق الحـالى ولا يجوز تفسـيره على أنه يمس بأية حال حقوق الطرفين والتزاماتهما بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة ٠

مادة ١١

تعتبر ملاحق هذا الاتفاق جزءا لا يتجزأ منه ٠

مادة ١٢

(أ) يظل هذا الاتفاق نافذا مدة سبع سنوات من تاريخ توقيعه ٠

(ب) تتشاور الحكومتان خلال الاثنى عشر شهرا الأخيرة من تلك المدة لتقرير ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق ٠

(جـ) وعلى حكومة المملكة المتحدة أن تنقل أو تتصرف فيما قد يتبقى لها وقتئذ من ممتلكات فى القاعدة ما لم تتفق الحكومتان المتعاقدتان على مد هذا الاتفاق ٠

مادة ١٣

يعمل بالاتفاق الحالى على اعتبار أنه نافذ من تاريخ توقيعه ، وتتبادل وثائق التصديق عليه فى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ٠

واقرارا بما تقدم وقع المفوضون المرخص لهم بذلك هذا الاتفـــاق ووضعوا أختامهم عليه ، تحرر فى القاهرة فى اليوم التاسع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٤ من صورتين باللغتين العربية والانجليزية ، ويعتبر كلا النصين متساويين فى الرسمية ٠

عن حكومة جمهورية مصر

جمال عبد الناصر

عبد الحكيم عامر

عبد اللطيف البغدادى

محمود فوزى

صلاح سالم

عن حكومة المملكة المتحدة

هـ . أ . ناتنج

ر . س . ستيفنسون

ر . بنسون

تقرير اتفاقية القاهرة فى ١٩ من اكتوبر سنة ١٩٥٤ :

الحقيقة الباهرة فى هذه الاتفاقية أنها جاءت محققة للآمال الوطنية فان مصر لما طالبت بالجلاء لم تكن لترضى بأن تدفع عنه ثمنا ، ولذلك لم تقبل قيادتها الثورية الرشيدة أى اتفاق مرهون بقيد أو شرط يعد للجلاء عوضا .

لقد تعرضنا فيما سبق على صفحات هذا البحث لمعاهدة سنة ١٩٣٦، ولقد تبين لنا أن تلك المعاهدة نتج عنها وضع قانونى وسياسى مقتضاه حرمان مصر من بعض مظاهر استقلالها الخارجى وكثير من شئونها الداخلية ، وكان ذلك كله لمصلحة بريطانيا التى أخضعت مصر لسيطرتها .

ان معاهدة ١٩٣٦ لم تكن متكافئة : بمعنى أنها جعلت بريطانيا ومصر فى مركزين غير متكافئين ، وقد نشأ نتيجة لتطور طرأ على العلاقة بين دولة تابعة (مصر) ودولة متبوعة (انجلترا) ، أو فى العلاقة بين دولة ومستعمراتها ، ويقصد منه فى العادة ارضاء شعور الدولة التابعة القومى وتمكين سكانها من مباشرة حكم ذاتى خاص ..

ان معاهدة سنة ١٩٣٦ كانت فى مقدمتها تنص كما جاء فى الميثاق الوطنى « على استقلال مصر . على حين أن صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة له وكل معنى » .

لكن اتفاق القاهرة فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ كان ينص على الجلاء الكامل دون أن تحصل بريطانيا على طلباتها الاستعمارية المألوفة من سد فراغ بدفاع مشترك أو بمحالفة •

ويقول المرحوم البطل صلاح سالم : « ولكن هل قبلنا (فى سبيل الجلاء) دفاعا مشتركا ؟ أو هل قبلنا حلفا من الاحلاف ؟

« ان الاتفاق ينص على مدة قدرها سبع سنوات ، منها عشرون شهرا لاتمام الجلاء ، فيكون الباقى خمس سنوات وأربعة أشهر •

فماذا اتفق عليه الطرفان بالنسبة لهذه الفترة ؟

بعد انتهاء الجلاء يكون الجيش المصرى قد احتل منطقة القناة كلها وتسلم جزءا كبيرا من المنشئات والمخازن فيها •

وأما الجزء الباقى من هذه المنشئات فستترك فيه بريطانيا مدة السنوات الخمس والشهور الاربعة بعض العتاد وبعض المهمات التى تملكها وتكون كلها تحت السيطرة المصرية الكاملة وتحت القيادة المصرية التى لن يكون فى منطقة القناة كلها قيادة غيرها •

ولسوف يدير هذه المنشئات والورش فنيون مدنيون مصريون وبريطانيون •

« وليكن معلوما أنه قد اتفق اتفاقا صريحا على ألا يكون فى مصر فى اليوم الاخير من العام السابع ما يمكن أن يسمى قاعدة » •

وقد استطاعت الثورة أن تجبر بريطانيا على أن تنص فى المعاهدة على أن تضطلع حكومة جمهورية مصر باعتبارها الحكومة صاحبة السيادة بالمسئولية عن أمن المنشئات وجميع المعدات التى فيها أو التى تكون فى طريقها من القاعدة أو اليها ، وذلك عقب جلاء القوات البريطانية •

وبذلك اعترفت بريطانيا بأن قاعدة قناة السويس قاعدة مصرية •

هذا وفى معرض التعليق على اتفاق القاهرة سنة ١٩٥٤ يقول الاستاذ الرافعى :

« ومن الخطأ ما زعمه الواهمون فى معرض الغض من اتفاق الجلاء أن الجلاء كان متفقا عليه ومنصوصا عنه فى معاهدة ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٦ وانه كان محددا له عشرون سنة تبدأ من سنة ١٩٣٦ ، أى تنتهى سنة ١٩٥٦ وهذا خطأ متعمد ، فان كل ما نصت عليه المعاهدة عن مدة العشرين سنة هو ما ورد فى المادة الثامنة منها من أنه اذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة (التالية لتنفيذ المعاهدة)

على مسألة احتمال أن وجود القوات البريطانية لم يعد ضروريا لأن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع منها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة فى القناة وسلامتها التامة ، فان هذا الخلاف يجوز عرضه على عصبة الامم للفصل فيه طبقا لأحكام عهد عصبة الامم أو على أى شخص أو هيئة للفصل فيه طبقا للاجراءات التى يتفق عليها الطرفان المتعاقدان ، ونصت المادة ١٦ من المعاهدة على انه بعد انقضاء عشرين سنة على تنفيذها يدخل الطرفان المتعاقدان فى مفاوضات بناء على طلب أى منهما بقصد اعادة النظر بالاتفاق بينهما فى نصوص المعاهدة بما يلائم الظروف السائدة حين ذاك ومن المتفق عليه أن أى تفسير فى المعاهدة عند أعادة نظرها يكفل استمرار التحالف بين الطرفين المتعاقدين ·

فالنصان صريحان فى أنه لم يحدد أى موعد في معاهدة سنة ١٩٣٦ للجلاء ، ونص فى الوقت نفسه على أبدية المحالفة العسكرية بين مصر وبريطانيا ·

« فالقول بأن معاهدة سنة ١٩٣٦ قد حددت للجلاء نهاية عشرين سنة من تاريخ عقدها قول باطل يراد به تضليل العقول والافكار فالمعاهدة لم تنص على موعد للجلاء لا فى مدة العشرين سنة ولا بعدها ·

وقد جاء فى اتفاقية الجلاء أنها أجازت للانجليز حق العودة الى القناة وحق استخدام قاعدة القناة فى حالات معدودة لمدة سبع سنوات · ومن الحق أن نقول : ان هذا النص لم يكن ليستدعى رفض الاتفاقية التى ربما لا تجود الظروف بمثلها ، لان العودة الى القناة بعد الجلاء ستكون بداهة مرهونة بارادة مصر ، ان شاءت قبلتها وان شاءت رفضتها وستكون العودة بعد الجلاء أصعب بكثير من استمرار الاحتلال فى القناة بقواته ومعداته · ومع ذلك فان النص على حق العودة واستخدام قاعدة القناة قد سقط نهائيا كما سنرى فيما بعد باعلان انهاء الاتفاقية بالنسبة لهذين الأمرين سنة ١٩٥٧ بعد الاعتداء الثلاثى (وهو موضوع الفصل المقبل) · ومن الحق أن نقول أيضا : ان انهاء هذه الاتفاقية كان عملا صادرا من جمال عبد الناصر ، فصار الجلاء الذى تم فى سنة ١٩٥٦ جلاء تاما بلا شرط أو قيد ، وهو أعظم نصر حققته الثورة » (١)

وفى المؤتمر الوطنى الضخم الذى عقده المواطنون فى ٢٠ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ بميدان الجمهورية للتعبير عن فرحتهم بالجلاء شرح الرئيس جمال عبد الناصر اتفاقية الجلاء قال :

منذ قامت الثورة سنة ١٩٥٢ حتى آتفاقَ الجلاء فى ١٩ من أكتوبر

---

(١) الاستاذ عبدالرحمن الرافعى « تاريخنا القومى في سبع سنوات »

١٩٥٤ كانت هناك معارك وفداء حقيقى ، لا للشهرة ولا للتهريج والخداع والتضليل ، هناك من ماتوا فى منطقة القناة ، وقد وقف سلوين لويد فى مجلس العموم البريطانى وقال : ان حوادث القناة فى السنة الاخيرة أكثر من ألف على الأفراد والمنشئات والمستودعات ٠

كان الانجليز يشعرون أنهم قليلون ، كانت الحراسة فى كل مكان، كان نصف القوات البريطانية يحرس النصف الآخر ، كان الانجليزى الذى يخرج لا يعرف هل يعود أو لا يعود ؟ ٠

هذا العمل كان ينظمه فدائيون لم يكونوا يعملون للشهرة ليقال فى القاهرة ان فلانا استشهد ، ويستخدم استشهاده فى الدعاية الرخيصة ٠

ولم يسلم الانجليز بسهولة : حاصرونا اقتصاديا بكل الوسائل ، لكننا نجحنا فى تحطيم الحصار الاقتصادى ، واستطعنا أن نكدر معيشتهم فى منطقة القناة ، وأن نشعر كل جندى بريطانى هناك بالخوف والفزع !

لقد كانت معركة مريرة ، معركة الاطاحة بالنظام الحاضر ، ليعود تجار الوطنية الى الحكم ، لكن الثورة لم تمكنهم فلم تجد انجلترا مفرا من الجلاء ٠

ولم يكن هدف الثورة هو خروج الانجليز من أرض الوطن فحسب بل ان هدف الثورة هو خروج الاحتلال من البلاد لأن هذا يعتبر وسيلة لبناء الوطن القوى ٠

واليـوم ، وقد قضينا على أعوان الاستعمار والخونة المستبدين ، قضينا على الملكية وأقمنا الجمهورية ، وحررنا الارض والفلاح ، ووقعنا الاتفاقية التى تنص على خروج المستعمر من أرض الوطن خلال عشرين شهرا ٠

فلنعمل متحدين من أجل حياة سعيدة ٠

وفى ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ يوم توقيع الاتفاق النهـائى على الجلاء أذاع الرئيس جمال عبد الناصر بيانا هاما جاء فيه :

« أيها المواطنون ، لعـل أجدادنا يتطلعون الينا من المثوى الابدى الذى تسكنه أرواحهم فى هذا اليوم برضا وفخر ٠

ولعل حفدتنا الذين مازالوا فى مجاهل المستقبل سـوف يعودون بعد مئات السنين الى ذكرى هذا اليوم باعتزاز وتقدير ٠

لعل هؤلاء وهؤلاء الاجيال التى مضت والاجيال التى ستجىء تلتقى نظرتهم عند هذا اليوم يباركون الجهد الذى قام به جيلنا استكمالا لكفاح القادمين ٠

لقد شاءت ارادة الله أن تستقر على أكتافنا أمانة الماضى والمستقبل ٠

وكانت رعايته لنا عونا على الحاضر ٠

لقد حاولنا أن نرتفع الى مستوى ماضينا العظيم واستطعنا أن ندرك ان هذا الماضى لا قيمة له اذا كانت أمجاده تاريخا يروى يشد خيالنا اليه، وتقصر أعمالنا عن الوصول الى مستواه فانه لا فائدة فى هـــذه الامجاد الماضية اذا لم تكن معانيها خصائص كامنة فى نفوس شعبنا تطبع كفاحه عبر الزمن وتلازم جهاده جيلا بعد جيل ٠

هذا هو ايمانى بالماضى وهو فى الوقت نفسه ايمانى بالمستقبل ٠

أيها المواطنون ، ان يومنا الحـــاضر يوم عظيم ، يرتفع الى مستوى الماضى العريق ويعطى بشائر الامل فى مستقبل لا تحده آفاق ٠

أيها المواطنون ، ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة على وشك أن تبدأ ٠

هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبن وطننا من جديد بالحب والتسامح والفهم المتبادل ٠

اللهم أعطنا المعرفة الحـــق كى لا يستخفنا النصر وتدور رءوسنا غرورا مع نشوته ٠

اللهم أعطنا الامل الذى يجعلنا نحلم بما سوف نحققه فى الغد أكثر مما يجعلنا نفاخر بما حققناه فى الأمس واليوم ٠

اللهم أعطنا الثقة بأنفسنا لنرى أننا على بداية الطريق وأن الشوط أمامنا شاق طويل ٠

اللهم أعطنا الشجاعة لنستطيع أن نتحمل المسئوليات التى لا بد أن نتحملها فلا نستهين بها ولا نهرب منها ٠

اللهم أعطنا القدرة لندرك أن الخائفين لايصنعون الحرية ، والضعفاء لا يخلقون الكرامة ، والمترددين لن تقـــوى أيديهم المرتعشة على التعمير والبناء ٠

« أيها المواطنون ، الله عوننا ، وهو ولى التوفيق » ٠

القسم الثالث

الارادة الثورية تحقق الجلاء

الارادة الثورية حققت الجلاء :

فيما سبق ألقينا بعض الضوء على ما كان يكمن فى مصر من عوامل التخلف والقهر فى ظل احتـــلال أجنبى مسلح ، وأسرة مالكة فاسدة ، واقطاع يمتص دماء العاملين فى الحقول ، ورأسمالية مستغلة تسيطر على جهاز الحكم بالبلاد •

ولكن برغم تلك السحب القاتمة التى كانت سائدة فى سماء حياتنا استطاع الشعب المصرى أن يسير على طريق الثـــورة نحو النصر بارادة ثورية وبالمبادىء الستة المشهورة التى كانت تخدم أهداف نضاله •

سار الشعب المصرى نحـــو النصر فى زحف مقدس خلف طليعته الثورية ، وأحرز الشعب فى معاركه الكثيرة انتصارات باهرة محطما جميع العوائق التى كانت تعترض زحفه المقـــدس نحو أهدافه الواسعة وآماله الانسانية غير المحدودة الافق •

وعلى طريق الثورة نحو الحرية استطاع الشـــعب أن يحقق الجلاء التام بفضل ايمانه بعدم ملاءمة طريق الحرية هـــذا مع أسلوب مصالحة الاستعمار ومساومته •

كذلك يتضح لنا أن النصر كان حليف الكفاح الوطنى ضد الاحتلال حتى استطاع أن يرغم الاستعمار على توقيع اتفاقية الجلاء فى يوم ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وذلك لأن الثورة كانت أمينة مع الشعب فى كفاحه الثورى ضد الانجليز فى منطقة القناة •

وهكذا شهدت منطقة القناة منذ قامت الثـــورة سنة ١٩٥٢ حتى اتفاق الجلاء معارك حقيقة فداء هذه المعارك التى أفسدت معيشة الاحتلال فى القناة ، لذا لم تجد انجلترا مفرا من الجلاء •

ولقد عالجت الارادة الثورية قضية الجلاء بالحزم والقوة والايمان

بضرورة الجلاء ، ورسمت حكومة الثورة للمقاومة الشعبية خطوطا منظمة، وأمدت الفدائيين بالعون والتنظيم · فكان لهذا الكفاح الثورى ما لم يكن لكفاح سنة ١٩٥١ ·

ولما كان للمقاومة الشعبية أكبر الأثر فى تحقيق الجلاء كان لزاما علينا الآن أن نحاول القاء بعض الضوء عليها ·

المقاومة الفدائية فى القناة :

(أ) نظمت قيادة الثورة قسما بالمخابرات المصرية وأطلقت عليه اسم « فرع بريطانيا » وقام هذا الجهاز الوطنى بتضحيات عظيمة فى أثناء مقاومتهم لقوات الاحتلال ·· تلك التضحيات التى حمل اعباءها جماعة من الضباط آلوا على انفسهم أن يبذلوا جهدهم وأن يقاوموا الانجليز ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، وضعوا نصب أعينهم هدفا واحدا وكانت وسائل تحقيق هذا الهدف (الجلاء) تتلخص فيما يلى :

١ ـ الحصول على معلومات عن الجيش البريطانى فى القناة ، وكذا الوقوف على تنظيم المعركة للقوات البريطانية فى منطقة الشرق الاوسط ·

٢ ـ منع الانجليز من الحصول على أية معلومات ·

٣ ـ مراقبة نشاط المخابرات البريطانية وكشف أساليبها وعملائها ·

٤ ـ القيام بأعمال مختلفة داخل المعسكرات (خطف ، نسف ، سلب معدات الخ) بقصد ازعاج القوات ·

٥ ـ القيام بشن حرب سيكولوجية على أفراد القوات البريطانية عن طريق الاشاعات والمنشورات والاذاعة من محطة خاصة ·

«ولقد شهدت المخابرات البريطانية نفسها بنشاط مخابراتنا وذكائها، اذ جاء فى البند ٩ من تقريرها الصادر فى ١٢ من يونيو ١٩٥٤ تحت عنوان « سلامة الوثائق » ما يمكن تلخيصه فيما يأتى :

« ان المخابرات المصرية ما زالت تبدى نشاطها فى الحصول على أية أوراق من داخل المعسكرات وقد ثبت أنها تحصل على الاوراق السرية والمستندات الهامة وتصورها بالفوتستات ثم تعيدها من ثم » (١)

---

(١) المقاومة الشعبية في الشرق : « اخترنا لك » .

وعموما فقد سيطرت المخـــابرات على منطقة القناة بتنظيم حوادث الاعتداءات • ولقد طوت هذه السياسة تحت أجنحتها جميع الهيئات فى المنطقة و تركزت فيها جميع الاعمال الوطنية •

وقد كانت هذه الاعمال وتلك التنظيمات مفاجأة للانجليز حتى انهم ادعوا أنه لا يمكن أن يقوم بتلك الاعمال مصريون •

ومن الطريف أن رياسة الاسطول البريطانى أصدرت منشورا فى ١٩٥٣/١٠/٢٧ تقول فيه : انه ثبت لديها أن هناك بعض ضباط الجيش المصرى يعملون كموظفين وعمال فى الجيش البريطانى •

(ب) الحرب السيكولوجية : ويقصد بها الحرب النفسية بقصد التأثير على نفسيات الجنود البريطانيين وخلق حالة من القلق وعدم الاستقرار والخوف واليأس ، وقد نجحت المقـاومة الشعبية فى ذلك وانتهى الأمر بتسليم انجلترا بوجهة نظر مصر فى ضرورة الجلاء •

وتتلخص تلك الحرب السيكولوجية المباشرة التى شنها الفدائيون فى الوسائل الآتية :

١ ــ **المنشورات** : وهى اما بالصور أو بالكتابة أو بهما معا •

وكانت هذه المنشورات ترسل الى الجنود والى أهاليهم بانجلترا على حسب العناوين المكتوبة على الخطابات المرسلة من الجنـــود والتى يصير الاستيلاء عليها من المطارات وصناديق البريد •

وبعد القاء كل منشور كانت تحدث نوبة من الفزع والذعر داخل المعسكرات •

ونجحت المنشورات فيمـــا أعدت من أجله حتى ان مجلة الجندى البريطانية الصادرة فى فبراير سنة ١٩٥٤ علقت على هذه المنشورات فى مقالة على الصفحة ١٥ منها ، وكان لهذه المقالة أثر كبير فى دوائر لندن أكثر من فايد •

٢ ــ الاشاعات :

وكانت من الاسلحة المفيدة التى شنها المصريون على أفراد القوات البريطانية بمنطقة القناة ، وكان المصريون يعتمدون فى نشر الاشاعة على المتعهدين المصريين الذين يترددون على المعسكرات وكذا الموظفون الاجانب والعمال •

٣ ـ الاذاعة :

لقد أمكننا أن ننشىء محطة اذاعة سرية تذيع على الجنود البريطانية فى أوقات فراغهم باللغة الانجليزية وتبين لهم وجهة نظر مصر فى مشكلة القناة ، وتقارن بينها وبين وجهة النظر الانجليزية الاستعمارية ·

***

٣ ـ سلب مخصصات الجيش البريطانى بالقناة

وتلك أعمال قام بها الفدائيون الذين سيطروا على منطقة القناة بما فيها من قوات بريطانية وبما عليها من دبابات ومدرعات ·

« فلقد استطاع الفدائيون أن يقوموا بعمليات السلب فى أى وقت يشاءون وبالطرق التى يختارونها وفى المناطق التى يحددونها » ·

« ولم يكن المقصود بهذه العمليات الافادة من المعدات والمخصصات البريطانية بل كان الهدف الأساسى هو ازعاج القوات البريطانية واحداث حالة من القلق وعدم الاستقرار ومفاجأة العدو بطرق وأساليب غير متوقعة مما يجعل الجندى البريطانى لا يثق بنفسه ورؤسائه وجيشه » (١)

وقد دلت الاحصاءات على أن أكثر من ١٠٠ عربة من مختلف الانواع قد أخذت سلبا من الجيش البريطانى بالقناة فى المدة من أوائل سنة ١٩٥٣ حتى توقيع الاتفاقية وذلك خلاف الاسلحة والذخائر والمعدات الاخرى ·

***

٤ ـ عمليات الفدائيين داخل المعسكرات

وقد رتبت العمليات على أساس القيام بما يلى :

(أ) عمليات نسف المنشآت ·

(ب) عمليات تخريب داخل المطار ·

(ج) عمليات حرائق للمخازن المختلفة

(د) قيام الفدائيين بهجمات ليلية داخل المعسكرات ·

وروعى فى تلك العمليات ألا تكون موجهة ضد الافراد المدنيين وخصوصا النساء والاطفال ·

---

(١) اخترنا لك المقاومة الشعبية في الشرق . العدد ٣٠ .

ثم ابتدأت معركة المتفجرات « كما أطلق البريطانيون عليها منذ يوم ١٩٥٤/٤/٣ فى معسكرات التل الكبير حيث نسف المخزن رقم ٧٧ . ثم نسف المخزن رقم ١٣٩ وتوالت الانفجارات بالتل الكبير ٠

واتسع نطاق العمليـــات حتى وصل الى الســـويس ثم الى مطار كسبريت الخ ٠٠٠

« وسادت الفوضى معسكرات الانجليز واشتد هلعهم وجزعهم من هذه العمليات التى يقوم بها أفراد لا يعرفون معنى الخوف أو الهزيمة

وأصبحت المعركة تشمل منطقة القناة بأكملها من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب واستمرت طوال شهر أبريل ونصف مايو سنة ١٩٥٤ ٠

ووصف الانجليز هذه الحوادث « بالتنظيم الذى لا يقـــوم به الا وحدات شبه عسكرية مصرية » ٠

وجاء فى تقرير للانجليز أنفسهم بشأن الفدائيين قال : « أما عن روحهم المعنوية ودرجة كفايتهم فانهـــم مدربون تدريبا جيدا ويتمتعون بروح معنوية عالية » (١)

ونورد فيما يلى تقريرا للبريطانيين عن الحوادث التى وقعت خلال المدة من ٤/٢٣ حتى ٥٤/٤/٣٠ :

١ ــ فى ٤/٢٣ سلب ٤٠ قدما من مواســـير الميـــاه فى منطقة السويس ٠

٢ ــ فى ٤/٢٣ هجوم على معسكر التل الكبير ٠

٣ ــ فى ٤/٢٤ نسف أنابيب المياه ٠

٤ ــ ٤/٢٤ مهـــاجمة احدى العربات البريطانية فى منطقة فايد والاستيلاء على مدفع رشاش كان يحمله سائق العربة ، ولما حاول الآخر مطاردة الوطنيين أطلقت النيران على العربة من أحد المنـــازل فى القرية ٠ وقد قام البريطانيون بمحاصرة المنطقة بقوات كثـــيرة ورفض البوليس المصرى التعاون ولم يعثروا على فدائيين ٠

٥ ــ ٤/٢٤ انفجار فى معسكر فنارة نتج عنه اصابة بعض الافراد واحتراق بعض الخيام ٠

٦ ــ ٤/٢٤ هجوم على معسكر المهندسين بفنارة ٠

(١) المصدر السابق نفسه ٠

٧ ـ ٤/٢٥ الاستيلاء على احدى عربات الاسطول فى منطقة السويس ٠

٨ ـ ٤/٢٥ القبض على أربعة مصريين فى أثناء مهاجمتهم أحد الصنادل البحرية فى ميناء بورسعيد ٠

٩ ـ ٤/٢٦ انفجار قنبلة أمام احدى عربات سلاح الطيران على القناة شمال ديفرزوار ٠

١٠ـ ٤/٢٦ هجوم على أحد المخازن فى بورسعيد ٠

١١ـ ٤/٢٦ حجزت عربة مدنية مصرية تحتوى على كمية من أسلاك التليفونات التى تخص سلاح الاشارة البريطانى ٠

١٢ـ ٤/٢٧ انفجار فى معسكر الديفرزوار ٠

١٣ـ ٤/٢٧ محاولة بعض المصريين تدمير خط أنابيب المياه بالقرب من السويس ٠

١٤ـ ٤/٢٧ القبض على بعض المصريين بعد أن قاموا بأعمال تدمير وتخريب فى أعمدة التليفونات فى منطقة فايد ٠

١٥ـ ٤/٢٧ هجوم على أحد الضباط البريطانيين على حين كان يتنزه فى منطقة فايد وقد أصيب بعدة اصابات فى رأسه وترك فى العراء بدون ملابس ٠

١٦ـ ٤/٢٨ قبض على اثنين من المصريين على حين كانا يحاولان قطع كابلات التليفونات فى مطار كسبريت وأصيب أحدهما ٠

١٧ـ ٤/٢٩ قبض على أحد المصريين وهو يحاول تخريب خط أنابيب المياه فى السويس ٠

١٨ـ ٤/٢٨ اصطدام دورية بريطانية مع احدى جماعات الفدائيين داخل معسكر التل الكبير ، وبعد تبادل اطلاق النيران انسحب المصريون وحملوا جرحاهم معهم ، وكانوا يرتدون ملابس عسكرية وقد ظنهم الانجليز بادىء الأمر دورية بريطانية ٠

١٩ـ ٤/٢٩ قتل أحد الوطنيين فى فايد بوساطة البوليس الحربى البريطانى لمحاولته دخول أحد المعسكرات ٠

٢٠ـ ٤/٢٩ اقتحام بعض الوطنيين مخزن المهندسين فى فايد ٠

٢١ـ ٤/٢٩ شوهد ثلاثة من المصريين وهم يستطلعون معسكرات التل الكبير » (١)

(١) اخترنا لك المقاومة الشعبية في الشرق . العدد ٣٠ .

٥ ـ القبض على الخونة وعملاء الاستعمار

قام الفدائيون أيضا بعمليات القبض على الخونة وعمـلاء الاستعمار ومحاكمتهم والقضاء عليهم ، وهكذا حمى الفدائيون ظهورهم ٠

٦ ـ عمليات ضد البريطانيين خارج المعسكرات

ومن هذه العمليات ما سبق أن أوردناه في غير هـــذا المكان باسم حادث ريجدن المشهورة ٠

ويمكن تلخيص هذه العمليات في عمليتين هما القتل والخطف ٠

وكان أغلب حوادث الخطف تدبر ردا على تهـــديد من الانجليز أو انذارهم جماعات الفدائيين ٠

ومن أمثلة رد الفدائيين على الانجليز ووحشيتهم الاستعمارية ان قام بعض الابطال الفدائيين بقتـــل جنود بريطانيين انتقاما لقتـــل المرحوم الشهيد فريد ندا ضابط البوليس في يوم ١٩٥٤/٣/١٢ ٠

وفى ليلة رأس السنة ١٩٥٤/٥٣ وحوالى الساعة الثانية صباحا وفى ميس الضباط البريطانيين تمكنت جماعة من الفدائيين من قتـــل بعض الضباط البريطانيين على حين أصيب الباقون بحالة ذهول وفزع.وانسحب الفدائيون فى سلام ٠

وفى أواخر سنة ١٩٥٣ قتل الانجليز أحد الوطنيين فى الاسماعيلية. وفى الليلة نفسها أعد الوطنيون كمينا قرب مطـــار الفردان وأطلقوا الرصاص على أربعة جنود كانوا عائدين الى المطـار فقتلوا جميعا ، وكان ذلك انتقاما سريعا عادلا من القتلة ، من الاستعمار ٠

وأخيرا فما ذكرناه كان بعض الحوادث أوردناه على سبيل المثـــال لا الحصر فنحن لا يمكن أن نحصر تلك الحوادث مهما كان حيث ان مجال البحث يضيق بعناصره المترامية ٠

وهكذا تمكن الكفاح الوطنى بفضـــل تسلحه بالارادة الثورية من تتويج انتصاراته الثورية « بالقضاء على الاستعمار وأعوانه » ٠

ولقد رأينا كيف كانت صورة الكفاح مشرفة فى منطقة القناة حين تمكنت قوات الفدائيين المصريين من احراج القوات البريطانية المحتلة ومن خلال موجات الرعب والفزع التى سببتها هجمات الفدائيين ضد الاحتلال البريطانى قبل الانجليز اتفاق الجلاء طائعين بعد أن تعثرت المفـــاوضات أكثر من مرة ٠

وكانت الارادة الثورية المجيدة للشـــعب المصرى والتى تمثلت فى اتحـــاد الامة ضد الاحتــــلال هى التى روعت الانجليز وشلت فكرهم الاستعمارى طوال مدة الكفاح فى قناة السويس حتى تم اتفاق الجلاء ٠

ولا ينبغى لنا أن ننسى أن انضمام الجيش الى النضال الشعبى قد سلحه فى مواجهة قوى السيطرة الاجنبية المحتلة بدرع من الصلب قادرة أن تصد عنه ضربات الخيانة والغدر ٠

وبفضل هذه الارادة الثورية ونتيجة للنضال الشعبى فى القناة تم توقيع اتفاقية الجلاء . وفى هذا المعنى يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى أعضاء مجلس الامة سنة ١٩٥٧ .

ان حل الاحزاب كان مقدمة لاجلاء الغاصب عن أرض مصر ، فان قوة الاحتلال فى منطقة القناة ما لبثت أن وجدت نفسهـــا تواجه بلدا متحدا ٠

ولم يكن التوقيع الحقيقى على اتفــاقية الجلاء نتيجة للجلوس الى مائدة مفاوضات تعثر أمرها أكثر مما استقام ٠

وانما كان توقيع اتفاقية الجلاء محتما لما وجد الاستعمار أنه فقد القوائم التى كان يرتكز عليها وجوده قائمة بعد قائمة ٠

لقد تهاوت الدمى والاصنام دمية بعد دمية وصنما فى أعقاب صنم !

أصبح الاستعمار فاذا هو أمام الشعب وجها لوجه ، ولاحت المعركة بينهما على الافق ، بل وقعت المعركة فعلا على أرض منطقة القناة ٠

« وبالايدى المتـــحدة القوية ، وبالدم الزكى الذى سال فى منطقة القناة وقعنا اتفاقية الجلاء ٠ وانتصرنا فى حرب الاستقلال » ٠

عيد عملية الجلاء

نصت المادة الاولى كما رأينا سلفا من اتفاقية الجـلاء على أن تجلو القوات البريطانية جلاء تاما من الاراضى المصرية خلال فترة عشرين شهرا من تاريخ توقيع الاتفاق ·

التاريخ	نسبة القوات البريطانية المنسحبة
تاريخ توقيع الاتفاق زائدا ٤ شهور	٢٢٪
تاريخ توقيع الانفاق زائدا ٨ شهور	٣٥٪
تاريخ توقيع الاتفاق زائدا ١٢ شهرا	٥٤٪
تاريخ توقيع الاتفاق زائدا ١٦ شهرا	٧٥٪
تاريخ توقيع الاتفاق زائدا ٢٠ شهرا	١٠٠٪

ولقد نص الجزء رقم (أ) من الملحق رقم ١ على أن تقدم الحكومة المصرية فيما يتصل بالجـلاء المذكور جميع التسهيلات اللازمة لتحركات الرجال والعتاد وهي تسهيلات مؤقتة تنتهى بانقضاء فترة العشرين شهرا·

وفى ١٨ من فبراير سنة ١٩٥٥ انتهت المرحلة الاولى للجلاء وتم ترحيل ٢١ ألف جندى بريطانى من منطقة القناة وبدأ تنفيذ المرحلة الثانية تطبيقا لنصوص الاتفاقية ·

وفى ٢٢ من مارس سنة ١٩٥٥ قام الرئيس جمال عبد النـاصر برفع العلم المصرى فوق معسكر الشلوفة بمنطقة القناة لأول مرة بعد ٧٣ عاما من جهاد الشعب المتواصل فى سبيل الاستقلال ·

وفى ١٩ من يونيو سنة ١٩٥٥ انتهت المرحلة الثـانية من جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنـاة وتسلمت مصر من تلك القوات ١٥ منشأة وبدىء فى تنفيذ المرحلة الثالثة وفقا لاتفاق الجلاء ·

وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٣ من يوليو سنة ١٩٥٥ بدء

الثورة الاجتماعية للقضاء على الظلم الاجتماعى بعد أن تم القضـــاء على الاستبداد السياسى والاستعمار البريطانى ٠

ثم رفع العلم المصرى فوق أكبر معسكر فى الاسماعيلية فى ٢٥ من مارس سنة ١٩٥٦ بعد اتمام جلاء القوات البريطانية عن هذه المنطقة ٠

وغادر مصر جنرال هل القائد العام للقــوات البريطانية فى منطقة القناة فى ٣ من أبريل سنة ١٩٥٦ بعد أن تم ترحيل أكثر من ٧٠ ألف جندى بريطانى طبقا لاتفاقية الجلاء ٠

وفى أبريل سنة ١٩٥٦ أخلى السلاح الجوى البريطانى آخر قاعدة جوية في أيدى البريطانيين وهى « أبو صوير » وبهذا تم انسحاب سلاح الطيران البريطانى من جميع المطارات والمنشآت الملحقة بها فى قاعدة قناة السويس ، وكان هناك لسلاح الطيران البريطانى ستة مطارات فى قاعدة قناة الســـويس هى كسبريت وشلوفة وديفرزوار وفايد والاسماعيلية وأبو صوير ، وهذا الاخير يعد أقدمها اذ شيد ميس ضباطه عام ١٩١٨ وتعد ساحته التى يبلغ طولها ٣٠٠٠ ياردة من أبدع الساحات فى الشرق الاوسط ٠

وفى ١٥ من أبريل سنة ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان مصر تخلصت نهائيا من القوات البريطانية المحتلة (برية وجوية وبحرية) وان آخر هذه القوات الاجنبية قــد رحلت عن أرض الوطن ٠ وان مصر لن تكون أبدا منطقة نفوذ ولن تتلقى الأوامر من أحد ٠

وألقى الرئيس عبـــد النــاصر فى الأول من يونية ١٩٥٦ خطابا تاريخيا فى مؤتمر التعاونيين أعلن فيه أن يوم ١٨ من يونيو ١٩٥٦ هو نهاية الاستعمار فى مصر ٠

وفى ١٣ من يونيو ١٩٥٦ تم الجلاء نهائيا عن مصر ، ولقد تم الجلاء في ذلك اليوم مقدما خمسة أيام عن تاريخه الرسمى ، وهو ١٨ من يونيو سنة ١٩٥٦ ٠

ولقد كان آخر مكان جلا الانجليز عنه يوجد فى بورسعيد وهو مبنى البحرية ، وقد تسلمه الجيش المصرى فى ساعة مبكرة من صباح ١٣ من يونيو ١٩٥٦ ٠

ومن موافقات التاريخ أن تم الجلاء يوم ١٣ من يونيو ١٩٥٦ بعد مرور خمسين عاما على حادثة دنشواى ، فقد وقعت هذه الحادثة الدامية يوم ١٣ من يونيو سنة ١٩٠٦ ٠ وهكذا يتم الجلاء فى اليوم الذى وقعت فيه هذه المأساة ٠

« ومأساة دنشواى كانت فى جوهرها كفاحا ضـــد الاحتلال . فلم يذهب عبثا ذلك الكفاح المرير الذى اســتمر خمسين عاما الى ان جاء يوم ١٣ من يونيو سنة ١٩٥٦ ، فكان انتصارا وتتويجا لهذا الكفاح» (١) الذى قاده بثورية أصيلة الرئيس جمال عبد الناصر الذى قيض الله له هــذا النجاح العظيم جزاء وفاقا على ايمانه النبيل بحق الشعب المصرى فى الحياة الحرة الكريمة ٠

وكانت آخر وثيقة للجـــلاء هى محضر تسليم بيت البحرية بمدينة بورسعيد وهذا هو نص تلك الوثيقة ٠

محضر تسليم

محرر لمناسبة تسليم مبنى البحرية ببورسعيد

من السلطات العسكرية البريطانية الى

القوات المسلحة المصرية فى ١٣ من يونيو ١٩٥٦

***

وفقا للفقرة (ب) من الملحق الاضافى رقم ٢ من الاتفـاقية الخاصة بقاعدة القناة بين حكومة بريطانيا العظمى وايرلندة الشمالية والحكومة المصرية الموقعة فى القاهرة فى ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ ٠

يقر الموقعون أدناه بعد أن تقـــابلوا وفتشوا المؤسسة المبينة على الخرائط (هـ) والرسوم من (ب) الى (س) والمشروحة بالجدول (أ) ان الخرائط والجداول وصف مطابق لحالة المؤسسة وقت التسليم والتسلم٠

اليوم الخالد ، عيد الجلاء : ١٨ من يونيو ١٩٥٦ ٠

وفى هذا اليوم الخالد احتفل الشعب العربى عامة والشعب العربى فى مصر خاصة بعيد كفاحه المجيد ، بعيد الجلاء ٠

وفى ذلك اليوم الخالد رفع الرئيس جمال عبد الناصر العلم المصرى بعد أن قبله وهو يبكى على مبنى البحرية فى بور سعيد ٠ الذى كان آخر معقل جلت عنه القوات البريطانية كما سلف القول ٠

وقال الرئيس فى ذلك اليوم المجيد :

« انها لحظة خالدة تساوى العمر كله ٠ »

(١) عبدالرحمن الرافعى « تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢-١٩٥٩ »

« ان هذا الجيل من شعب مصر على موعد مع القدر : فمنذ أكثر من ألفى سنة ووطننا يحكمه الغزاة ، والحلم الضائع لابنائه أن يعود وطنهم يوما اليهم • »

وقد قدر لهذا الجيل أن يعيش ليوم عودة الحلم الضائع •

« وخلال قرون طويلة كانت أجيال شعبنا تكافح وتناضل ، كان الشهداء يسقطون على الارض وبجوارهم أعلامهم مضرجة بالدماء ولكن لا يستسلمون أبدا •

« ثم جاء موعدنا مع القدر فقد أتيح لجيلنا أن يشـــارك فى المرحلة الحاسمة من المعركة وأن يسمع بأذنيه دقات أجراس النصر تتجاوب فى الآفاق •

« ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية ، انه طريق بعيد المدى ، مداه الحياة نفسها ، كلما بلغ منه الشعب مرحلة لاحت أمامه فى المنى مراحل • ان الشعوب الحية لا تتهاون بعد ساعة النصر أو تتراخى •

« أيها المواطنون ، سودوا بأمر الله فى وطنكم ، واحكموا وشاركوا شعوب الارض فى بحثها عن السلام وعن حياة مطمئنة » •

ومن خطاب بطل الجلاء الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الشعبى يوم الجلاء ١٩٥٦/٦/١٩ نقتطف ما يلى :

« أيها المواطنون ، الحمد لله فقد جاء النصر من عند الله •

« لقد تكلمت معكم كثيرا وكنت أتكلم وأتحدث اليكم وأخطب فيكم منذ يوم ٢٣ من يوليو حتى الأمس ، ولكننى وأنا أتكلم كنت أحس أن هناك ثقلا على قلبى وأن هناك غمة على نفسى ، كنت أتكلم ، وكنت أشعر بكم ، بالشعب أبناء مصر جميعاً الذين يحسون بهذا الاحساس ويشعرون بهذا الشعور •

« كنت أتحدث اليكم عن الماضى وعن الاحتلال ، وكنت أختتم خطابى أو كلامى بأنه لابد من تحرير مصر ، ولابد من جلاء قوات الاحتلال •

« كان هذا الكلام تعبيرا عن شعوركم ، تعبيرا عن الهتافات التى نادى بها اخوان لنا ماتوا وهم يرددونها تعبيرا عن كفاح الماضى الطويل ، تعبيرا عن كفاح الآباء ، تعبيرا عن كفاح الأجداد •

« اليوم يا اخوانى أشعر كما تشعرون أنتم ان الآمال قد تحققت وأن الغمة قد زالت وأن القلب يشعر بالحرية وأن النفس تحس بالانطلاق •

« اليوم يا اخوانى أشعر كما تشعرون أن نسيم الحرية يهـــب على أرض مصر فلا يرفرف فى سماء مصر سوى علم مصر • ولا يرفرف على أرض مصر سوى علم مصر » •

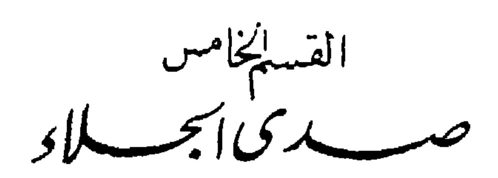
ثم بين الرئيس كيف أن مصر لم تستسلم قط وان مصر كانت دائما مقبرة للغزاة •

وواصل الرئيس خطابه قائلا : « اليوم يا اخوانى ونحن نبدأ فترة جديدة من تاريخ هذا الوطن ومن حياة هذا الوطن نتجه الى الماضى ونحو الأجيـــال الماضية التى لم تضعف ولم تتخاذل ولكنها قاومت وقاتلت واستبسلت حتى استطعنا فى هذا الجيل أن نحقق هذا النصر ، وأن نشعر بالحرية ونرفع على مصر علما واحدا هو علم مصر، علم الحرية . وعلم العزة ، وعلم الكرامة » •

وقال الرئيس : ان مصر اليوم للمصريين جميعا ، وانه ليس للكفاح نهاية ، وانه يجب أن يكون الجلاء بداية لمرحلة كفاح من أجل البناء والانتاج والعمـــل •

« ونحن نعلن للعالم كله أننا سنحافظ على استقلالنا لآخر قطرة من دمائنا سنحافظ على هذا الاستقلال لآخر نقطة من دمائنا » •

« ان الله الذى نصرنا يوم ٢٣ من يوليـو ويوم ١٨ من يونيـــو سينصرنا ان شاء الله دائما وسيمكننا من أن نحقق هذه الأهداف وأن نثبت دعائم العزة والحق والكرامة • »



وعن صدى الجلاء مضت جريدة الأهرام الصادرة فى ١٥ من يونيو سنة ١٩٥٦ قائلة :

« كان اتمام الجلاء عن مصر حدثا دوليا عظيما تردد صداه فى الشرق والغرب وتردد مع الصدى ذكر مصر الثائرة وما حققته حكومة جمال عبد الناصر فيها من معجزات :

« ١ — فلقد قابلت موسكو حادث الجلاء بتمجيد صفات الرجل الذى حقق الجلاء وهو عبد الناصر « الزعيم الكبير للعالم العربى » وأشادت بأعماله المجيدة فى القضاء على أسلحة الاستعمار فى بلاده وفى رفع مكانة مصر الى مصاف الدول العظيمة .

« ٢ — **فى واشنطن** : استقبلته الدوائر السياسية بشعور الرضا ؛ اذ أنها ترجو أن يؤدى الجلاء لتوثيق التعاون بين مصر والغرب .

« ٣ — **فى لندن** : قابلته جريدة (الديلى تلغراف) الاستعمارية بالبكاء والوله على اللبن الذى أريق على الأرض فى منطقة القناة !

« ٤ — **فى فرنسا** : نددت الصحف الفرنسية بموقف بريطانيا يوم ساهمت فى اقصاء فرنسا عن سورية ولبنان ، واتخذت هذه الصحف من الجلاء عن مصر مبررا لتمسك دولتها بالبقاء فى الجزائر .

« ٥ — **فى العالم العربى** : قابلت الشعوب العربية نبأ الجلاء بفرح شديد شامل » .

ونحن اذا جلنا بين الصحف الاستعمارية فى فرنسا وانجلترا أيام اتمام عملية الجلاء عن مصر فاننا نلخص للقارىء ما جاء فيها فى السطور التالية :

نجد مثلا صحيفة «أورور» الفرنسية المحافظة تردد مذهب الاستعمار

الفرنسى فى تعقيبها على الجلاء ، كما نجد أيضا صحيفة انجليزية محافظة هى « الديلى تلجراف » تردد أسف الاستعمار البريطانى على خطأ السياسة البريطانية التى أفضت الى هذا الجلاء ٠

وقد نظر الاستعمار الفرنسى الى الجلاء عن مصر باعتباره عقابا لبريطانيا على غدرها بفرنسا يوم عملت على اقصاء فرنسا عن سورية ولبنان ؛ فقد كان ينبغى للدولتين أن تتعاونا لاستدامة سيطرتهما على الشرق الأوسط ٠

ومضت الصحف الاستعمارية فى بريطانيا وفرنسا تردد ضرورة اعادة الاحتلال الى مصر والاستمرار فى احتلال شمالى افريقية وقلبها وجنوبيها لأن هذا الاحتلال هو الكفيل بأن يتيح لأوربا الغربية مواصلة الدفاع بعد هزيمتها الأولى أمام الارادة الحرة لشعوب تلك المنطقة ٠

وعلى أية حال فاننا نستطيع أن نلخص منطق الاستعمار فى شأن الجلاء فى الفقرة التالية :

ان بريطانيا فى حاجة الى بترول الشرق الأوسط والعالم الغربى كله فى حاجة اليه والى السيطرة على شمالى افريقية ، ومن ثم فانه كان على السياسة البريطانية ألا تستوحى غير هذه الحاجة الهامة ٠

ولم نلبث طويلا بعد سماعنا لرأى الاستعمار وأبواقه فى مسألة الجلاء أن شاهدنا الاستعمار يحاول العودة الى قواعده فى مصر بعد خروجه منها بثلاثة شهور ، وتصدى الشعب العربى كله للغزاة ٠ وانتصرت الأمة العربية فى معركة بور سعيد التى فرضها الاستعمار علينا ، فلم نستسلم ، بل حاربنا أشرف معركة وأقدسها وتم لنا النصر ٠

وفى الباب التالى نبحث محاولة الاستعمار الرجوع الى مصر وفشله فى ذلك ٠

الباب الخامس

معارك تثبيت الاستقلال

أولا – سلسلة المناورات الاستعمارية

لقد كانت فلسفة الثورة فى مسألة الاستقلال أنه غاية ووسيلة فى الوقت نفسه فهو وان كان أول غايات وأهداف ثورة ٢٣ يوليو المعبرة عن مطالب الشعب كان وسيلة لغايات هامة .

وفى هذا المعنى يقول الرئيس جمال عبد الناصر :

« لم يكن الاستقلال فى رأينا مجرد صك مهرناه بالغالى الزكى من دمائنا لكى نحفظه مع ما نفخر به من تراث ماضينا وآثار أجدادنا وانما كان ايماننا أن هذا الاستقلال لا خير فيه ما لم يصبح نقطة الانطلاق الى مستقبلنا .

« كنا نريد الاستقلال حتى نستطيع أن نصنع حياتنا فى حرية وهكذا لم يكن الاستقلال خاتمة مطاف ، وانما كان بداية سعى ، ولم يكن نهاية كفاح ، بل كان دعوة الى كفاح ، لم يكن هبوط الليل بعد نهاية عمل نهار ، انما كان مشرق الفجر .

« كان الاستقلال مجرد اشارة معناها أننا الآن نستطيع أن نعمل ، اننا الآن نستطيع أن نجنى ثمار هذا العمل » .

ولهذا كله مضت الثورة فى طريقها ، تصنع مستقبل الأمة ، وتعوض الشعب ما ضاع من عمره وهو يعانى من الاستعمار نفسه أو من آثاره ، وعلى الطريق الثورى بدت حدود العمل الثورى العظيم : صيانة الحاضر ، وتأمين المستقبل لنا ولحفدتنا من بعدنا .

كانت الثورة تعرف طريقها نحو العمل الثورى المحقق لارادة ولأمل المواطنين ، وكانت المبادىء الستة خير دليل الى تحقيق آمال الشعب ، ومضت الثورة فى عزم وقوة تبنى الوطن ، ويقول الرئيس :

« ولكن الاستعمار هاله ما كنا نفعله فى بلادنا ، وبينما نحن منهمكون فى عملية البناء أخذ الاستعمار يتحرش بنا ، فلم يكد التوقيع

بالخروف الأولى على اتفاقية القاعدة يتم حتى بدأت سلسلة المناورات التى كانت فى الواقع مقدمات معركة الاستقلال الثانية ، او معركة تثبيت الاستقلال » .

وكانت أولى المناورات مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط .

ولقد ظن الاستعمار أنه بتوقيعه على اتفاقية الجلاء يضمن اصطياد مصر وايقاعها فى مصيدة التحالف والتبعية .

ولكن مضت الشهور مخيبة لظنهم وآمالهم الاستعمارية اذ أن نوع الدفاع الذى كانوا يريدونه لا يتفق مع أهدافنا وسياستنا المستقلة .

« لقد كنا نريد الحرية الحقيقية .

« وكانوا يريدون السيطرة المقنعة .

وأخيرا كما يقول الدكتور وليد قمحاوى . « تمخض الاستعمار فولد حلف بغداد ليضم الى بريطانيا العراق وتركيا وايران وباكستان تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية » .

ومما قاله ايدن رئيس وزراء بريطانيا يومها عن هذا الحلف : « بانضمامنا الى حلف بغداد ثبتنا نفوذنا ورفعنا صوتنا فى شئون الشرق الأوسط ، ومن أغراض هذا الميثاق صرف نظر العراقيين (والعرب) الى اتجاه مما سيضمن لاسرائيل الأمن والدعة » .

ولكن « ثورة ٢٣ يوليو » رأت أن هذا الحلف « خطر على المنطقة كلها كذلك كان خطرا على سلامتنا الوطنية هنا فى مصر » .

لذلك ناصبت الثورة هذا الحلف العداء .

فأوعز الاستعمار الى « جيب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب » اسرائيل ، فأخذت عصاباتها تتحرش بقواتنا المسلحة فى قطاع غزة حتى يظهر عجز مصر عن معاقبة تلك العصابات مادامت مصر خارج حلف بغداد ولا تتمتع بأسلحته الغربية .

ومن هنا « أوصلتنا معركة اشتباكات خطوط الهدنة مع اسرائيل الى معركة أخرى فى حرب تثبيت الاستقلال ، تلك هى معركة احتكار السلاح » .

واستطاعت الثورة تحت قيادة رائدها المبدع جمال عبد الناصر أن ترد على تحدى الغرب لها وعدم بيعه الأسلحة لها مع تزويده لاسرائيل بكل عون مادى وعسكرى ، وكان رد ثورتنا كسرا لطوق احتكار السلاح وانعتاقا من نير النفوذ الغربى ، بل تحديا للنفوذ الغربى ولجميع الدول

الكبرى التى تمثله « وذلك على حد تعبير الدكتور قمحاوى . وحصلت مصر على السلاح من روسيا دون قيد ولا شرط فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ .

ثم دخلت الثورة فى معـــركة أخرى فى حروب تثبيت الاستقلال . وكانت تلك « معركة تحديد معالم شخصيتنا » وانطلق جمال عبد الناصر ليمثل مصر فى مؤتمر باندونج ، وعاد جمال من باندونج مكللا فى سعيه بالنجاح ، فلقد أوضح معالم شخصيتنا الدولية للعالم .

ولم تكد الثورة تخرج من باندونج حتى واجهت مناورة استعمارية أخرى أو قل حربا أخرى ، ولم تكن تلك غير معركة الضغط الاقتصادى .

ولم تنجح هذه المناورة ولقيت ما لقيته أسلافها من فشل ذريع .

ثم جاءت خاتمة مناوراتهم الخبيثة ، وكانت عملية تجويع واضحة ، ذلك كان الهدف من سحب عرض المساهمة فى تمويل مشروع الســـد العالى .

وكان السد العالى وما زال حجر زاوية أساسية فى خطتنا لمواجهة المستقبل .

« وكان بناء السد العالى يتطلب معونة فنية ومالية من الخارج . وكان المعسكر الغربى يبدى استعداده لتقديمها ، لكن بعد مراوغة ومماطلة ظنها فرصة سانحة ليضرب ضربته ، فسحب عرضه لتمويل السد العالى بشكل وقح يطعن مصر فى اقتصادها وكرامتها » (١)

ثانيا ــ تأميم شركة قناة السويس

« ولم يكن فى استطاعتنا أن نسكت ، نتلقى اللطمة صاغرين ، ثم ننتظر الجـــوع والبطالة تلاقينا أشباحها الكئيبة فى المستقبل القريب . وهكذا قررنا تأميم شركة قناة السويس » (٢) وعادت القناة الى أصحابها الشرعيين .

وجن الاستعمار من عنف اللطمة المفاجئـــة ومدلولاتها ، وتفجرت سموم حقده بالتهديد والوعيد لمصر ، فجمد أموالها وقاطع تجارتها وفرض حولها حصارا اقتصاديا محاولا تجويعها وتحطيم كبرياء شعبها ، ثم ألب الرأى العام عليها بدعاياته المغرضـــة ومؤتمراته الدولية المسمومة ، ثم سحب موظفى الشركة المؤممة ومرشديها ليشل حركة الملاحة فى القناة حتى تظهر مصر بمظهر العاجز عن ادارة القناة !

(١) الدكتور وليد قمحاوى « النكبة والبناء في الوطن العربى » .
(٢) الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه امام مجلس الامة عام ١٩٥٧ .

المواجهة الثورية لمعركة القناة قبل العدوان :

١ ـ لم يفقد مخطط الثورة وزعيمها وعقلها جمال عبد الناصر أعصابه وهو يرى جهنم الاستعمار تفتح عليه أبوابها ، فأعلن عزم الثورة على دفع تعويض عادل لحاملي أسهم الشركة وتعهدت بحرية الملاحة في القناة وأبدت استعدادها للدخول في مفاوضات عاقلة عادلة لتسوية كل المشاكل مع عدم المساس بكرامة مصر ٠

٢ ـ نجحت مصر في تشغيل القناة على الرغم من سحب المرشدين

٣ ـ نجحت القومية العربية في المعركة ، فاعتبرت قناة السويس قناة العرب ٠

٤ ـ نجحت مصر في جعل المعركة معركة انسانية ضد الاستعمار والاستغلال ٠

ويعلق على هذه الانتصارات الدكتور وليد قمحاوى بقوله : « وحين كسبت مصر هذه الجولات الأربع كانت في الحقيقة قد كسبت معركة القناة كلها ، وجعلت التأميم أمرا واقعا شاءت دول الاستعمار أم أبت ، وازداد تخبط هذه الدول في تصرفاتها وانفعالاتها وعدم سيطرتها على أفعالها ، وقررت أن تمضي في جنونها الى نهايته بالدخول في مغامرة أو بالأحرى مقامرة ـ قد تسترد بها كل ما خسرته أو تخسر كل ما تملك ، وكانت في الواقع قد خسرت الكثير وتطمع في استرداد ما هو أكثر من الكثير ٠

ثالثا ـ العدوان الثلاثي

ان العدوان الثلاثي الذى بدأته اسرائيل مخلب الوحش الاستعماري في ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ لم يكن الا وسيلة لعودة الاستعمار الغربي الى المنطقة ورجوع الاحتلال البريطاني الى مصر ٠

أما الأسباب التى توارى الآثمون خلفها ليبرروا عدوانهم فانها لم تستطع أن تقف طويلا أمام تيار الحقيقة الجارف الذى مزق سترهم فظهروا أمام الضمير العالمي عراة ، والعار والكراهية والحقد تظلل رءوسهم المنكسة في ذل مهين ٠

والعجيب في أمر هذا العدوان أن يرتبه زبانية الاستعمار في الموعد الذى أوصى به صراحة مجلس الأمن ، وكل الاختلاف في مكان اللقاء : فبينما كان من المحتم أن تقـــــوم المفاوضات في مدينة جنيف سير الاستعمار اسرائيل مدججة بأسلحة حلف الاطلنطى في صحراء سيناء ٠ على حين أن طائرات المستير الفرنسية تصنع مظلة واقية فوق تل أبيب ، وفى الوقت نفسه كانت البوارج والمدمرات الفرنسية تحمى سواحل اسرائيل !

واستعدت القوات المصرية للدخول فى معركة فاصلة مع الغـــزاة الاسرائيليين ، بل استطاعت الطائرات المصرية فى الســـاعات الأولى من المعركة أن تسيطر على الموقف ، ولكن سرعان ما ظهر للعالم حقيقة المؤامرة الثلاثية العدوانية ، وذلك عندما ظهر الانذار الانجلو ـ فرنسى بعد يوم واحد من عدوان اسرائيل على الأراضى المصرية ، وترفض مصر الانذار . وينجلى للناس حقيقة العدوان الاستعمارى التى حددتها الغايات الاستعمارية التالية :

١ ــ تدمير قوات مصر العسكرية ٠

٢ ــ احتلال مصر واعادة الاحتلال البريطانى اليها الى قواعده ٠

٣ ــ القضاء على حكومة مصر الثورية التى بعثت الروح الثورية فى مصر ٠

٤ ــ اعادة الاحتلال الى سورية ولبنان والاردن ٠

٥ ــ تأمين حدود اسرائيل بفرض الصلح على العرب ٠

٦ ــ طعن الحركة التحررية العالمية فى شخص مصر ٠

٧ ــ قتل دعوة القومية العربية ٠

٨ ــ ضرب فكرة التأميم الوطنى ، ابقاء للاحتكارات الاستعمارية ٠

وتكتشف الثورة الرائدة جميع أهداف العدوان ويظهر لبصيرتها النافذة «المصيدة الجهنمية» التى وضعت للقوات المسلحة المصرية فى صحراء سيناء ، وفى عمق وتبصر أصدرت القيادة المصرية أمرا الى قواتها المسلحة بالانسحاب من سيناء ، كما أمرت الطيـــارين بعدم التعرض لأساطيل بريطانيا وفرنسا الجوية ٠

ونظمت القيادة المقاومة الشعبية وزودتها بالسلاح ووكلت اليها مهمة الدفاع عن شرف الوطن وحماية مكاسبه ٠

وخاضت بورسعيد المعركة متحملة صدمة العاصفة ، ولكن مصر كلها كانت وراء بور سعيد ، كنا وطنا بأسره صمم على القتال ٠

« وعاش الشعب المصرى أنبل وأعظم وأمجد ساعات حياته ، اذ رأى كيف استطاع أن ينتصر على ثلاث دول ، وثلاثة أساطيل ، وثلاثة جيوش، وثلاث قوى جوية ، ولمن هذه القوى المتجمعة ؟ لبريطانيا سيدة البحار ! وللامبراطورية الفرنسية الغابرة ! ثم أخيرا للصهيونية العالمية !

وبعد معارك طاحنة خضناها ضد الغزاة انتصرنا لوطننا وللحرية ولم تستطع هذه القوات الضـــخمة أن تتقدم خطوة بعد بور ســعيد ، التى أذاقتهم الويل والثبور وعظائم الأمور .

وهكذا كان شرف مقاومتنا للعدوان على قمة المجد ٠

وفشلت مغامرة الاستعمار الطائشة ضدنا ٠

وانتصرت ارادتنا الثورية المجيدة فى منع الاستعمار من العودة الى المنطقة من جديد ٠

« وبقى جمال وعاشت الثورة واحتفظت الثورة بسيادتها وكسب شعبنا فى مصر تجربة عرفته امكانياته المعنوية والمادية وزادته ثقة بنفسه وصقلا لجوهره وتقوية لتفاعله وصلاته بقيادته الثورية ٠ عبرت عن هذا كله دماء الشهداء الزكية حتى أناشيد الشعب الحماسية » (١)

ويقول الرئيس جمال عبد الناصر : «دخلنا المعركة والقومية العربية مجرد كلام وخرجنا من المعركة وقد أصبحت القومية العربية عملا حقيقيا»

وانتهى العدوان الثلاثى الغاشم بالخيبة لمرتكبيه مجرمى الحرب بعد أن دمغهم العالم بالغدر والخيانة ٠

يوم النصر يوم الجلاء التام :

وفى يوم ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩٥٦ خرج آخر جندى بريطانى وفرنسى من جنود العدوان الثلاثى ، وتطهرت أرضنا الطيبة الحبيبة ، وعادت الارض الحبيبة الى أيدى أصحابها ٠

ويقول الدكتور قمحاوى : « ولم تكن القناة بعد اثبات حقها فى تأميمها وجدارتها باداراتها كل ما كسبته مصر من العدوان المسلح الذى فرض عليها وانما كسبت أيضا الانعتاق من قيود معاهدتها مع بريطانيا بعد الغائها ومصادرة قاعدتها ومستودعاتها » ٠

انقضاء اتفاق القاهرة سنة ١٩٥٤

فى الأول من يناير سنة ١٩٥٧ صدر القرار الجمهورى بالقانون رقم ١ لسنة ١٩٥٧ بانقضاء اتفاق ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ باعتباره كأن لم يكن وذلك من يوم ٣١ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ وهو تاريخ بدء العدوان البريطانى على منطقة قناة السويس ٠

ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى : « وقد جاء انقضاء اتفاق ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ بالنسبة لاستخدام قاعدة قناة السويس عملا وطنيا مجيدا لحكومة الثورة ، أكدت به الاستقلال الحقيقى الذى ظفرت به

---

(١) الدكتور وليد قمحاوى « النكبة والبناء في الوطن العربى »

مصر بجلاء القوات الانجليزية عن منطقة القناة ، وأهم ما تضمنه انقضاء اتفاق سنة ١٩٥٤ من نتائج هو الغاء تخويل بريطانيا استخدام القناة فى الاحوال التى حددها هذا الاتفاق · وهى وقوع هجوم مسلح من دونة من الخارج على مصر أو على أى بلد تكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو على تركيا فلم يعد من حق بريطانيا استخدام قاعدة القناة فى أية حال ·

« ولم يكن منطقيا ولا مقبولا بعد العدوان البريطانى وفشل هذا العدوان أن تعود بريطانيا الى استخدام قاعدة القناة ·

« وكانت هذه النتيجة فى حاجة الى حزم حكومة الثورة وايمانها بحقوق مصر الكاملة فى الاستقلال ·

« ومن نتائج انقضاء اتفاق سنة ١٩٥٤ أن يكون لمصر الحق الكامل فى مصادرة كل ما فى القاعدة من معدات ومنشآت ومخازن ومصانع ومحتويات مملوكة للدولة المعتدية ، لأن الاعتداء يخول الدولة المعتدى عليها مصادرة كل ما هو مملوك فى أراضيها للدولة المعتدية ·

« فكان القرار الجمهورى الذى أصدره الرئيس جمال عبد الناصر فى الأول من يناير سنة ١٩٥٧ نصرا مبينا ولا ريب لمصر من جميع الوجوه ·

لقد أثبت الرئيس باصداره هذا القرار قوة بأس ثورتنا المباركة هذه الثورة التى هى بحق نقطة تحول تاريخى اكتشف فيهـــا الشعب العربى فى مصر ذاته واستعاد ارادته فمضى فى طريقه نحو النصر الذى جناه الشعب العـــربى ومصر فى حرب الاستقلال ثم فى حرب تثبيت الاستقلال ·

وهكذا حققنا بارادتنا الثورية الجلاء مرتين فى عـــام واحد ، عام ١٩٥٦ ·

خــاتمة

وبعد فلقد رأينا فى الفصول السابقة من هذا الكتاب مدى المطامع الأوربية فى مصر ، فطالعنا التاريخ بأول « موجات الاستعمار الأوربى التى جاءت مستترة وراء صليب المسيح ، وهى أبعد ما تكون عن دعوة هـــذا المعلم العظيم » .

ثم جاءت بعد مدة من الزمن الحملة الفرنسية على مصر . مع مطلع القـــرن التاسع عشر ، وكانت هذه الحملة امتدادا للحروب الصليبية . ولكن الشعب المصرى المناضل على مر العصـــور لم ترهبه أسلحة أوربا الحديثة ولا خطط نابليون العســكرية التى أعيت قادة وملوك أوربا ، فتصدى الشعب لهذه الحملة الاستعمارية ، وقاومها بشدة وعنف . وبذل من دمائه الكثير فى سبيل الحرية .

وتم للشعب النصر ، وخرجت الحملة الفرنسية من مصر تجر أذيال الانكسار !

وتنبه الشعب الى قوته والى امكانياته التى كشفت عنها التحديات المستمرة التى واجهت الأمة المصرية وخاصة أيام الحملة الفرنسية ، فكانت اليقظة الشعبية .

وقام الشعب ، فعين « محمد على » واليا على مصر «بشروط المصريين» ورأينا كيف أن « محمد على » خان الحركة الشعبية التى مهدت له حكم مصر ، واستغلها باعتبارها « نقطة وثوب الى مطامعه » .

وفى خلال عهد محمد على بدات الدول الاوربية تكشر لمصر عن أنيابها وبدأ تدخلها فى شئون مصر ، وأخذ هذا التدخل يأخذ مظاهر عدة حتى بلغ مداه سنة ١٨٤٠ .

وجاءت أيام سوداء عصيبة على مصر ، وكانت تلك الأيام نتيجة لحكم خلفاء محمد على ، سعيد واسماعيل ، « وبدأت الاحتكارات المالية الدولية دورها الخطير فى مصر »

وتم لأوربا وأذنابهـــا السيطرة على أمراء أسرة محمد على الذين ساعدوهم في نهب مصر •

واستيقظت الحركة القومية في مصر بعد نكستها ابان حكم سعيد واسماعيل ، وبدأت القـــوى الشعبية تواجه الموقف الذى خلفته أسرة محمد على الدخيلة المقامرة ••

وكانت ثورة عرابى هى قمة رد الفعل الثورى ضد النكسة » •

غير أن أوربا تخلت عن المبادىء الانسانية ، فوقفت تشاهد مذبحة الاسكندرية سنة ١٨٨٢ ، ثم احتلال بريطانيا لمصر ، وكان هذا الاحتلال ضمانا لمصالح الاحتكارات المالية الأجنبية » وروع الشعب وهو يرى خديو مصر « توفيق » سليل أسرة الخيـــانة يرتمى في أحضان الانجليز ويضرب استقلال البلاد بطعنة نجلاء ، بالاحتلال !

وظهرت في مصر التى لم تنقطع فيها أصوات النداءات الثورية • قيادة وطنية عظيمة قادها مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما من زعماء مصر •

وكانت تلك كلها مقدمة موجة ثورية جديدة ما لبثت أن تفجرت سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وبعد خيبة الأمل فى « الوعود البراقة » التى قطعها الاحتلال على نفسه وبعد أن سمع الشعب فى مصر بمبادىء ويلسون التى ما لبث أن تنكر لها ويلسون نفسه •

وتفجرت ثورة ١٩١٩ ولكنها فشلت عندما ظهـــرت بين القيادات الوطنية آفة الحزبية الرخيصة التى أحرقت الطاقة الثورية فى هبـــاء لا طائل منه •

وانتهت هذه الثورة باعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، هـــذا التصريح الذى أعطى من الاستقلال اسمه وسلب مضمونه » •

وتميزت الحياة السياسية فى مصر بمفاوضات رخيصة مع الانجليز حتى ظهرت معاهدة سنة ١٩٣٦ التى عقدت بين مصر وبريطانيا ، وكانت بمثابة صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة ١٩١٩» .

ثم استسلمت القيادات التى تصدت للنضال الشعبى أمام سلطة القصر المتزايدة « وأمام قوة ورهبة الاحتلال الجاثم على صدر الأمة ، ومن ثم انحرفت القيادات عن طريق الشعب ، وصارت تلتمس الرضا اما من القصر أو من « المندوب السامى » •

وتأتى سنة ١٩٥١ وتقوم الحكومة بالغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ لمجرد

الالغاء ذاته ، ولم تكن قد اتخذت اى اجراء لمواجهة الموقف الناجم عن الالغاء ونحدث المذابح ضد الوطنيين •

ثم يأتى حريق القاهرة نكسة لهذا النضال الذى قام به الشعب نفسه فى القناة ضد الانجليز •

وفجأة يظهر الضياء وسط أحلك أيامنا . يظهر الفجر العظيم . بالطلائع الثورية بثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . هذه الطلائع التى كانت أداة شعبية لتنفيذ ارادة الشعب ولتحمى النضال الوطنى الذى أخذ على عاتقه أن يحقق التغيير السليم فى الوطن •

وفى برهة من الزمن نضجت ثورتنا العربية الكبرى وخاضت الثورة معارك عنيفة فى حرب الاستقلال ، فكان خلع الملك معركة فى حرب الاستقلال ، وكان القضاء على الاقطاع معركة فى حرب الاستقلال . وكان انهاء وجود الأحزاب معركة فى حرب الاستقلال ، وبعد هذه المعارك العنيفة القاسية التى مهدت الطريق لاجلاء الغاصب عن أرض مصر وجدت قوة الاحتلال فى منطقة القناة نفسها تواجه بلدا متحدا •

أصبح الاستعمار فاذا هو أمام الشعب وجها لوجه ولاحت المعركة بينهما على الافق ، بل ووقعت المعركة على أرض منطقة القناة •

وبالأيدى المتحدة ، وبالدم الزكى ، وقعنا اتفاقية الجلاء . وانتصرنا فى حرب الجلاء •

ولكن هذا الاستقلال لا خير فيه ما لم يصبح نقطة الانطلاق الى مستقبلنا هذا المستقبل الذى كان بناؤه عسيرا بل مستحيلا قبل الجلاء •

ولما مضت الثورة فى طريق بناء الوطن واجهت معارك تثبيت الاستقلال وكان قمة تلك المعارك « معركة بناء السد العالى » الذى ساق بنا الى معركة السويس التى واجهنا فيها البريطانيين والفرنسيين وركيزة الاستعمار اسرائيل ، وانتصرنا فى المعركة المسلحة ضد الغزاة •

وفى ذلك يقول الميثاق «ان شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار فاز بارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين فى عام هو عام ١٩٥٦ الفاصل فى نضالنا الوطنى » •

وهكذا انتصرنا فى معركة الجلاء مرتين ، أخرجنا الانجليز من أرضنا طبقا لاتفاقية أكتوبر سنة ١٩٥٤ التى تم تنفيذها فى يونيو سنة ١٩٥٦ ، ولكن الاستعمار ما لبث أن حاول العودة فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، ولم يستطع أن يحتل شبرا واحدا بعد بور سعيد •

وتم الجلاء النهائى بعد العدوان فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ ، وتم لنا النصر .

***

وختاما لبحثنا عن الجلاء عن القطر المصرى من الجمهورية العربية المتحدة نذكر شيئا عن كفاح القطرين الشقيقين سورية والعراق فى سبيل الجلاء .

ففى بادىء الأمر نرى أن الأقطار الثلاثة مصر وسورية والعراق قد اشتركت فى ثورتها على حكم الاتراك .

ولكن ما لبث أن بسط الاستعمار الانجليزى والفرنسى ظله الكثيب على البلاد العربية التى كانت خاضعة للسلطان العثمانى من الوجهة السياسية .

فنرى ثورة سورية على الانتداب الفرنسى ، هذا الاحتلال الذى فرق وحدة الوطن السورى كما خالف الفرنسيون صك الانتداب فربطوا اقتصاد سورية بالاقتصاد الفرنسى ، وفرضوا الاحكام العسكرية على سورية ، ونشبت عدة ثورات وطنية ضد الفرنسيين تحمل السوريون فى أثنائها كثيرا من التضحيات الثقيلة حتى تم للشعب العربى فى سورية الاستقلال ، واحتفل السوريون بأول عيد للجلاء فى ١٧ من أبريل سنة ١٩٤٦ .

ويشترك القطر العراقى مع سورية ومصر فى جهاده ضد الاتراك ثم فى جهاده ضد الانجليز ، فكانت هناك ثورة سنة ١٩٢٠ ثم كانت سنة ١٩٣٠ حينما عقدت معاهدة بين بريطانيا والعراق اعترفت فيها الأولى باستقلال العراق الا انه برغم تلك المعاهدة ظل الاحتلال البريطانى فى العراق مسيطرا عليه دائم التدخل فى شئونه الداخلية والخارجية ، وما أعجب الزمن ! فان تلك الحال هى نفسها التى كان عليها المصريون بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وكانت بريطانيا تقبض بيد من حديد على العراق .

وفى سنة ١٩٥٥ ألغيت معاهدة سنة ١٩٣٠ ولكن « نورى السعيد » كان يضع مع الاستعمار حلف بغداد ليكون بديلا للمعاهدة .

وفى ١٤ من يوليو ١٩٥٨ قام الشعب فى العراق بثورته التى أقامت الجمهورية وطوحت بالملكية وبحلف بغداد ، الا أن تلك الثورة قد انتكست عندما انحرف بها قاسم عن طريقها العربى القومى التقدمى .

غير أن « ثورة ١٤ رمضان سنة ١٣٨٢ » أعادت الى العراق وجهه العربى الصحيح ٠

ومن العجيب أن يكون للتاريخ حلقاته المترابطة هذه ، فانه بعد أن قامت « ثورة ١٤ رمضان » فى العراق قامت « ثورة ٨ من مارس » سنة ١٩٦٣ فى سورية ، هذه الثورة المباركة التى أدت الى سقوط الانفصال ، الانفصال الذى طرأ على الوحدة التى قامت بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨

ومن مفاخر تاريخ النضال العربى أننا ونحن نسجل تاريخ قضية الجلاء عن مصر أن نشير الى وحدة الهدف والنضال فى الوطن العربى ٠

هذا الهدف وذلك النضال الذى بلورته الثورات الثلاث فى الأقطار العربية مصر وسورية والعراق التى صنعت ارادة الجماهير فيها الدولة الاتحادية الكبرى والتى تم توقيع بيانها فى الساعة الأولى من صباح الاربعاء ٢٣ من «ذو القعدة» سنة ١٣٨٢ الموافق ١٧ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٦٣ ٠

وهكذا رأينا من فصول هذا الكتاب أن الجلاء عن مصر كان الانطلاقة الثورية نحو الهدف الكبير للجماهير العربية فى الوحدة والحرية والاشتراكية ، والنصر للشعب العربى الذى يفرض ارادته ؟

تم الكتاب بحمد الله

فهرس

هيئة قناة السويس

حركة الناقلات خلال شهر أكتوبر عام ١٩٦٢

زاد عدد الناقلات العابرة خلال شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ ، مقارنة بتلك العابرة فى أكتوبر عام ١٩٦١ بمقدار ١٠٢ ناقلة أى بنسبة ١ر١٣٪ اذ بلغ ما عبر منها خلال شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ ـ ٨٧٨ ناقلة مقابل ٧٧٦ فى أكتوبر الماضى .

وبتقسيم الناقلات عدديا طبقا لاتجاهى العبور يتضح أن الناقلات العابرة من الشمال الى الجنوب قد زادت بمقدار ٥٦ ناقلة (٤٥٢ مقابل ٣٩٦) وهذا يرجع الى زيادة عدد الناقلات الفارغة بمقدار ٦١ ناقلة (٤١٥ مقابل ٣٥٤) بينما نقص عدد الناقلات المحملة بمقدار ٥ ناقلات (٣٧ مقابل ٤٢) .

وبالنسبة للناقلات العابرة من الجنوب الى الشمال فقد زاد عددها بمقدار ٤٦ ناقلة (٤٢٦ مقابل ٣٨٠) وذلك نتيجة لزيادة عدد الناقلات المحملة بمقدار ٥٢ ناقلة (٤١٣ مقابل ٣٦١) أما الناقلات الفارغة فقد نقص عددها بمقدار ٦ ناقلات (١٣ مقابل ١٩) .

وبلغ مجموع الحمولة الصافية للناقلات العابرة فى أكتوبر عام ١٩٦٢ ـ ١٣٣٣٥٥٠٠ طن مقابل ١١٢٣٧٠٠٠ طن فى أكتوبر الماضى مسجلة زيادة قدرها ٢٠٩٨٠٠٠ طن أى بنسبة ٧ر١٨٪

وتمثل الحمولةالصافية للناقلات نسبة قدرها ٧٣٪ من مجموع

الحمولة الصافية للسفن العابرة خلال أكتوبر عام ١٩٦٢ بينما كانت هذه النسبة ٧٠٪ خلال أكتوبر الماضى .

وقد زاد متوسط الحمولة الصافية للناقلة من ١٤٤٨١ طنا فى أكتوبر عام ١٩٦١ الى ١٥١٨٨ طنا فى أكتوبر عام ١٩٦٢ .

كما زاد متوسط كميات المواد البترولية المنقولة على كل ناقلة محملة من ٢٦٠٢٠ طنا فى أكتوبر الماضى الى ٢٦٨٥٩ طنا فى أكتوبر عام ١٩٦٢ .

السفن العابره لاول مره .

عبرت القناة خلال شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ لأول مرة ٨٥ سفينة منها ١٣ ناقلة وتزيد الحمولة الكلية لخمس منها على ٢٠٠٠٠ طن كما هو مبين بالجدول التالى :

اسم السفينة		العلم	الحمولة الكلية بالطن	حمولة البضائع بالطن	اتجاه العبور
مورفن	ناقلة	انجلترا	٢٦٦٣٦	١٨٠٣٢	جنوب/شمال
برتش هوسر	ناقلة	انجلترا	٣٢٨٨٨	فارغة	شمال/جنوب
اسواوربا	ناقلة	بنما	٣١٩٠٣	فارغة	شمال/جنوب
فيجا	ناقلة	فرنسا	٣٢٨٥٨	فارغة	شمال/جنوب
ب.س. بترسن	ناقلة	ليبيريا	٣٢٦٩٠	فارغة	شمال/جنوب



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عتبة - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤